نصائح مهمة لشباب الأمة

نصائح على طريق أهل السنة

خالد بن سعود البليهد

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد فهذه نصائح توجيهية لشباب الأمة الذين عرفوا طريق الاستقامة واهتدوا لطاعة ربهم ورغبوا في رضوان الله وثوابه والهدف منها تقويم مسيرتهم وتصحيح نهجهم وتثبيتهم على الحق وحمايتهم من الانحراف عن طريق السنة وحثهم على الاقتداء بمنهج السلف الصالح وجادة العلماء وقد جعلتها مختصرة واضحة جامعة في مهمات الدين وجعلتها بصيغة المخاطب والله أسأل التوفيق والإخلاص والنفع لي ولسائر شباب المسلمين.

وكتبه في الرياض

خالد ابن بليهد الخالدي النجدي

عفا الله عنه

١ /٦/ ١٤٤١

النصيحة الأولى: الإخلاص في الدين

عليك بمعرفة مقام الإخلاص في الدين فاحرص على أن تكون عبادتك وإحسانك وجميع أعمالك خالصة لوجه الله والدار الآخرة ولا تكون لشهرة أو مال أو منفعة أو مكانة اجتماعية قال تعالى: (فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ أَلَا للهِ الدِّينُ الْخَالِصُ). وقال تعالى: (قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ). وقال النبي ﷺ: (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه). متفق عليه. وقال الفاروق عمر رضي الله عنه: (لا عمل لمن لا نية له ولا أجر لمن لا حسبة له). وقال مطرف بن عبد الله: (صلاح القلب بصلاح العمل وصلاح العمل بصلاح النية). واعلم أن النية الصالحة تعظم العمل اليسير عند الله وتكثر ثوابه قال عبد الله بن المبارك: (رب عمل صغير تعظمه النية ورب عمل كبير تصغره النية). والأعمال الصالحة تتفاضل ويعظم ثوابها بحسب ما يقوم بقلب المؤمن من الإيمان والإخلاص قال ابن القيم: (فتفاضل الأعمال عند الله تعالى بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والإخلاص والمحبة وتوابعها). وإذا صدق المؤمن العزم على القيام بعمل ثم منعه مانع فعجز عن فعله كتب الله له أجر ذلك العمل تاما لا ينقص منه شيء كما قال تعالى: (وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا). واعلم أن كل عمل ابتغي فيه غير وجه الله فهو باطل ذاهب الأجر ليس لعامله إلا التعب والشقاء قال النبي ﷺ: (يقول الله تبارك وتعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه). رواه مسلم. وقد ورد ذم شديد لمن طلب العلم لغير الله قال

رسول الله ﷺ: (من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة يعني ريحها). رواه أحمد. واعلم أن من قصد بدعوته أو صدقته أو جهاده طلب الشهرة أو الانتصار لحزبه لم يكن مخلصا في عمله لله جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: (الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن في سبيل الله ؟. قال: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله). متفق عليه. وقد كان السلف الصالح يعتنون بإخلاص النية ويجاهدون أنفسهم في ترك الرياء ويراقبون أعمالهم ويتذاكرون هذه المسألة العظيمة قال يحي بن أبي كثير: (تعلموا النية فإنها أبلغ من العمل). وقال سفيان الثوري: (ما عالجت شيئا أشد علي من نيتي لأنها تتقلب علي). وقال عبدالله بن الإمام أحمد لأبيه يوما: (أوصني يا أبت. فقال: يا بني انو الخير فإنك لا تزال بخير ما نويت الخير). فداوم على استحضار نية الإخلاص في عملك وجاهد نفسك في التخلص من الرياء والعمل لأجل الناس وأوصيك بدراسة كتاب كلمة الإخلاص وتحقيق معناها لابن رجب. وإذا عملت صالحا لله ولم تلتفت للخلق ثم ظهر ثناء الناس عليك بالخير فلا ينقص ذلك من إخلاصك ولا حرج عليك في أن تفرح بذلك لأنه من تعجيل البُشرى لك في الدنيا وهذا من الأثر الحسن للطاعة عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قيل لرسول الله ﷺ: (أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه ؟ قال: تلك عاجل بشرى المؤمن). رواه مسلم. وإذا رأيت الرجل يطلب الدنيا بعمل البر من دعوةٍ أو علمٍ أو حسن قراءةٍ أو يتظاهر بالزهد لينال حظوة عند الأكابر فاعلم أنه رجل مفتون ليس له طب إلا أن يمن الله عليه بتوبة فلا تقتد به ولا ترفع به رأسا واسلك طريقا غير طريقه قال بشر الحافي: (لأنْ أطلب الدنيا بمزمارٍ أحب إلى من أن أطلبها بالدين).

النصيحة الثانية: العقيدة الصحيحة

اعتن أشد الاعتناء بتحقيق التوحيد فإن التوحيد من أعظم أصول الدين قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ). وقال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ). وعن معاذ ﵁ قال: (كنت ردف النبي ﷺ على حمار يقال له عفير فقال: يا معاذ هل تدري ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله. قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا. فقلت: يا رسول الله أفلا أبشر به الناس. قال: لا تبشرهم فيتكلوا). متفق عليه. واعلم أن أعظم واجبٍ أمر الله به هو التوحيد وأعظم ذنبٍ نهى الله عنه هو الشرك قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ). وقال تعالى: (إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ). وعن عبدالله بن مسعود ﵁: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من مات يشرك بالله شيئًا دخل النار). وقلت أنا: (ومن مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة). متفق عليه. وقال ابن القيم: (ولما كان الشرك أعظم الدواوين الثلاثة عند الله عز وجل حرم الجنة على أهله فلا تدخل الجنة نفس مشركة وإنما يدخلها أهل التوحيد فإن التوحيد هو مفتاح بابها فمن لم يكن معه مفتاح لم يفتح له بابها). فاجتهد في تصحيح عقيدتك وتنقيتها من شوائب الشرك. والزم طريقة أهل الحديث في باب الأسماء والصفات فأثبت لله كل اسم وصفة أخبر بها الله عز وجل عن نفسه أو أخبر بها رسول الله ﷺ عن ربه فأثبتها لله على ما يليق به سبحانه من غير تحريف أو تعطيل أو تكييف أو تمثيل كما قال تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ). وتواتر ذلك في السنة الصحيحة وقد أجمع السلف الصالح على ذلك قال

الوليد بن مسلم: (سألت سفيان والأوزعي ومالك بن أنس والليث بن سعد عن هذه الأحاديث فقالوا: نمرها كما جاءت. قال الخلال: هذا في أحاديث الصفات وهو مذهب السلف إثبات حقيقتها ونفي علم الكيفية). وقال مالك بن أنس حين سأله رجل عن كيفية الاستواء: (الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة). وقال ابن عبد البر: (أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة في الكتاب والسنة وحملها على الحقيقة لا على المجاز إلا أنهم لم يكيفوا شيئا من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة. وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة والخوارج كلها فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئا منها على الحقيقة ويزعمون أن من أقر بها مشبه). وإياك أن تسلك طريقة الجهمية وأفراخهم فتعطلها بالكلية أو تحرفها بتأويل فاسد أو تفوض معانيها ولا تقر بمعانيها الثابتة في نصوص الشرع على وجه الحقيقة وإياك أن تغلو في إثباتها فتقع في التشبيه وإنما كنْ وسطاً بين المعطلة والمشبهة قال نعيم بن حماد: (من شبه الله بشيء من خلقه فقد كفر ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه). وقال ابن تيمية: (فالمعطل يعبد عدما والممثل يعبد صنما والموحد يعبد ربا). ولا تكن ممن يهلك ويدخله الشك عند سماع أحاديث الصفات المتواترة عند أهل الحديث فذلك علامة أهل البدع قال طاووس: سمعت رجلا يحدث ابن عباس بحديث أبي هريرة هذا (في ثبوت صفة القدم لله عز وجل) فقام رجل فانتقض فقال ابن عباس ﷺ: (ما فرق هؤلاء يجدون رقة عند محكمه ويهلكون عند متشابهه). واعلم أن كثيرا من الناس نشأوا على عقائد أهل البدع وورثوا الشبهات والخرافات مع كثرة الجهل وقلة العلم وتلبيس علماء السوء وقلة علماء أهل السنة فاحرص على العناية بتوحيد الألوهية والأسماء والصفات وانشرها بين المسلمين واجتهد في إنكار مشاهد الشرك وعليك بكتابين من أنفع الكتب في هذا الباب، الأول كتاب العقيدة الواسطية لابن

تيمية والثاني كتاب التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب التميمي ادرسهما وذاكرهما مع أقرانك وناقش مسائلهما واسأل أهل العلم عن أي إشكال يرد عليك ومن الكتب النافعة التي تبطل شبهات المشركين وتفضح باطلهم وتقوي حجتك في التوحيد كتاب كشف الشبهات لمحمد بن عبد الوهاب التميمي. وخذ عقيدتك من علماء السنة ولا تأخذ عقيدتك من رؤوس أهل البدع المخالفين لمنهج السلف الصالح فقد نهى أئمة السلف عن الأخذ عن الأصاغر من أهل البدع قال عبد الله بن مسعود ﷺ: (لا يزال الناس صالحين متماسكين ما أتاهم العلم من أصحاب محمد ﷺ ومن أكابرهم فإذا أتاهم من أصاغرهم هلكوا). وقال الشافعي: (إنما يتكلم في هذا الدين من كان مأمونا على عقدة هذا الدين). ومن نشأ وتربى على المبتدعة أفسدوا عقيدته ودينه كما هو مشاهد في القديم والحديث قال عمر بن قيس الملائي: (إذا رأيت الشاب أول ما ينشأ مع أهل السنة والجماعة فارجه وإذا رأيته مع أهل البدع فايأس منه فإن الشاب على أول نشوئه). وقال سفيان الثوري: (إن من نعمة الله على الفتى أن يوفقه لصاحب سنة). فينبغي عليك التحري والتوثق فيمن تأخذ عنه عقيدتك كما قال ابن سيرين: (إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم). ولا تبن عقيدتك ومنهجك على كتب المفكرين العصرية فإنها منحرفة زائغة عن السنة لأنهم بنوا مذهبهم في الغالب على أصول الخوارج والمعتزلة أو أصول المرجئة والصوفية فأطروحاتهم بدع قديمة بأسلوب عصري مشوق ومن تأمل حالهم أيقن بجهلهم بحقيقة التوحيد وإعراضهم عن اتباع السنة وتعصبهم للبدعة وعقوقهم لأصحاب النبي ﷺ وقطيعتهم لأئمة السلف الصالح وموالاتهم لأهل البدع وقد كان علماؤنا يحذرون من قراءة هذه الكتب وينهون عن اتباع منهجها وتربية الشباب عليها سئل شيخنا ابن باز عمن ينصح الشباب بقراءة كتاب (في ظلال القرآن) لسيد قطب فقال: (الذي يقوله غلط.. لا.. غلط ..الذي يقوله غلط

سوف نكتب عليه إن شاء الله). وسئل شيخنا مُحَمَّد ابن عثيمين عمن ينصح الشباب بقراءة كتب سيد قطب فقال: (أنا قولي بارك الله فيك أن من كان ناصحا لله ورسوله ولإخوانه المسلمين أن يحث الناس على قراءة كتب الأقدمين في التفسير وغير التفسير فهي أبرك وأنفع وأحسن من كتب المتأخرين. أما تفسير سيد قطب رحمه الله ففيه طوام لكن نرجو الله أن يعفو عنه فيه طوام كتفسيره للاستواء وتفسيره سورة (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) وكذلك وصفه لبعض الرسل بما لا ينبغي أن يصفه به). وسئل شيخنا صالح الفوزان عن مدرس ينصح الطلاب بكتب سيد قطب فأجاب: (هذا كلام فارغ لا قيمة له، ولماذا لا يوصي الطلاب بقراءة كتب السلف الصالح ؟ التي هي أنفع وأحسن وأغزر علمًا وفائدة، لماذا لم يوص الطلاب بقراءة كتب أهل العلم من الأئمة وأتباعهم ؟ وفيها الخير، لو كان ناصحًا للطلاب، أما تخصيصه بقراءة كتب فلان فقط فهذا يدل على أنه صاحب هوى، كونك تخصص شخصًا من المتأخرين والمعاصرين وتقول لهم: اقرأوا كتبه، هذا يدل على أنك صاحب هوى مع هذا الشخص، إن كان قصدك أن الطلاب يستفيدون ! فلماذا لا توصيهم بقراءة كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وكتب الإمام ابن القيم، وكتب الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب ؟ كتب أئمة الدعوة التي فيها العلم، وفيها الخير، وفيها معرفة التوحيد والشرك، ومعرفة العبادات، ومعرفة الأحكام الفقهية، لماذا لا توصيهم بهذا ؟ ونحن اذا قرأنا كتب سيد قطب أو غيرها ماذا نستفيد ؟ هل نستفيد معرفة التوحيد ؟ هل نستفيد معرفة الشرك ؟ هل نستفيد معرفة العبادات ؟ هل نستفيد معرفة أحكام المعاملات والفقه ؟ لا أظن أننا نستفيد منها هذه النوعيات العظيمة من العلم، بل نستفيد منها الحماس الفارغ، والتكفير لعموم المسلمين، والأفكار الثورية، فالناصح يوصي الطلاب بقراءة الكتب المفيدة لهم في عقيدتهم، وفي عباداتهم، وفي معاملاتهم، هذا هو الناصح). ونصح الشيخ عبد الله الغديان بعدم قراءة كتب سيد

قطب فقال: (الجواب أن الشباب ينصحون بعدم قراءتها وأنهم يقتصرون على دلالة القرآن ودلالة السنة وعلى ما كان عليه الخلفاء الأربعة والصحابة والتابعين). واعلم أن من أعظم خصائص أهل السنة سلامة ألسنتهم من الطعن في أعراض الصحابة ﴿ وترك الخوض في فتنتهم والتقرب إلى الله بمحبتهم والترضي عليهم والذب عنهم قال تعالى: (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ). وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري ﴿ قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه). وسئل الحسن البصري عن قتال الصحابة فيما بينهم فقال: (قتال شهده أصحاب مُحَمَّد ﷺ وغِبنا وعلموا وجهلنا واجتمعوا فاتبعنا واختلفوا فوقفنا). وسئل عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى عن القتال الذي بين الصحابة فقال: (تلك دماء طهر الله يدي منها أفلا أطهر منها لساني مثل أصحاب رسول الله ﷺ مثل العيون ودواء العيون ترك مسها). وقيل للإمام أحمد بن حنبل: ما تقول فيما كان بين علي ومعاوية ؟ قال: (ما أقول فيهم إلاّ الحسنى). وقال أبو عثمان الصابوني في عقيدة السلف: (ويرون الكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ وتطهير الألسنة عن ذكر ما يتضمن عيبا ونقصا فيهم ويرون الترحم على جميعهم والموالاة لكافتهم). فعليك بلزوم الترحم والترضي عليهم لثبوت فضائلهم وكثرة حسناتهم وهم معذورون في اجتهادهم وكثير مما روي في فتنتهم لا يصح إسناده أو متنه وما صح منه لا يعارض ما تواتر من عدالتهم وفضلهم قال ابن تيمية: (قد ثبت بالنصوص الصحيحة أن عثمان وعليا وطلحة والزبير وعائشة من أهل الجنة بل قد ثبت في الصحيح أنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة وأبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان هم من الصحابة ولهم فضائل ومحاسن وما يحكى عنهم

كثير منه كذب والصدق منه إن كانوا فيه مجتهدين فالمجتهد إذا أصاب فله أجران وإذا أخطأ فله أجر وخطؤه يغفر له). واحذر من مسلك طائفتين انحرفوا في هذا الباب، الأولى الرافضة السبابة قطع الله دابرهم ، والثانية الدعاة العصرانيون المفتونون بذكر أخبار الفتن ونشر معايب الصحابة ﭬ للتشويش بين المسلمين وشعار أهل البدع الوقيعة في أصحاب النبي ﷺ. وإذا رأيت جماعة تزهد في التوحيد ولا تربي أتباعها عليه ولا تظهر الإنكار في مسائل الشرك خشية أن يتفرق عنها الناس فاعلم أن دعوتهم مخالفة لدعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام سائرة على طريقة محدثة وأن دعوتهم فاشلة لأنها مبنية على أساس فاسد قال تعالى: (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا). قال شيخنا صالح الفوزان: (الذين يدعون إلى الله ولا يبدؤون بالعقيدة ولا يهتمون بها دعوتهم فاشلة ولم تنتج شيئا أما الذين دعوا إلى العقيدة ونشروها وبينوها فهؤلاء هم الذين أفادوا العباد والبلاد).

النصيحة الثالثة: اتباع السنة

عليك باتباع سنة النبي ﷺ في سائر أبواب الدين وعظم الآثار وكن متبعا للهدي النبوي وقدمه على أقوال الرجال فإن تمسكك بالسنة دليل على صدق إيمانك بالنبي صلى الله عليه وسلم وقد فرض الله طاعته وتصديق خبره قال تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا). وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى. قالوا: ومن يأبى ؟. قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى). رواه البخاري. قال ابن تيمية: (الواجب على الخلق اتباع الكتاب والسنة فهو ليس عملية اختيارية أو مسألة أفضلية إنما هو أمر واجب وحتم لازم فما أنزل القرآن إلا ليكون منهاجا وما أرسل الرسول عليه السلام إلا ليتبع وخلاف ذلك هو الضلال المبين). واتباع سنة النبي ﷺ دليل على محبة الله قال تعالى: (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ). ومن كان متبعا للأثر فهو على طريق السنة قال مُحَمَّد بن سيرين: (كانوا يرون أنه على الطريق ما كان على الأثر). واعلم أن الدين مبناه على اتباع الآثار والتسليم التام لها وليس على الرأي والقياس قال علي بن أبي طالب ﷺ: (لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح مِن أعلاه وقد رأيت رسول الله ﷺ يمسح على ظاهر خفيه). رواه أبو داود. وقال البربهاري: (واعلم رحمك الله أنه ليس في السنة قياس ولا يضرب لها الأمثال ولا تتبع فيها الأهواء بل هو التصديق بآثار رسول الله ﷺ بلا كيف ولا شرح لا يقال لم وكيف ؟). فلا تعارض السنة بالرأي ولا ترد نصوص الشرع بالتحكم والهوى كحال أهل البدع ولا تكن ممن يقصر اتباع السنة في أبواب معينة ويعرض عنها في الأبواب الأخرى كحال المتحزبين لشيخ أو طريقة أو جماعة. وإذا رأيت الرجل يرد السنن أو يطعن فيها أو يحرفها أو

يعارضها بالقرآن فاعلم أنه صاحب بدعة وضلالة قال رسول الله ﷺ: (ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه). رواه أحمد وأبو داود. واعلم أن رد السنة يوقع الرجل في فتنة القلب والشك في الدين قال أحمد بن حنبل: (من رد حديث رسول الله ﷺ فهو على شفا هلكة). واعلم أن العمل اليسير الموافق للسنة خير من العمل الكثير الموافق للبدعة قال عبد الله بن مسعود ﷺ: (اقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة). والتمسك بالسنة نجاة من الشرك والبدعة قال الزهري: (الاعتصام بالسنة نجاة والعلم يقبض قبضا سريعا فعيش العلم ثبات الدين والدنيا وفي ذهاب العلم ذهاب ذلك كله). وقال ابن تيمية: (وكلما كان الرجل أتبع لمحمد صلى الله عليه وسلم كان أعظم توحيدا لله وإخلاصا له في الدين وإذا بعد عن متابعته نقص من دينه بحسب ذلك فإذا كثر بعده عنه ظهر فيه من الشرك والبدع ما لا يظهر فيمن هو أقرب منه إلى إتباع الرسول ﷺ). واعلم أن أهل السنة المتمسكين بها قليل في الناس قال الحسن البصري: (السنة والذي لا إله إلاّ هو بين الغالِي والجافي فاصبروا عليها رحمكم الله فإن أهل السنة كانوا أقل الناس فيما مضى وهم أقل الناس فيما بقِي الذين لم يذهبوا مع أهل الإتراف في إترافهم ولا مع أهل البدع في بدعهم صبروا على سنتهم حتى لقوا ربهم فكذلك إن شاء الله فكونوا). وكتب سفيان الثوري إلى عباد بن عباد: (أما بعد فإنك في زمان كان أصحاب النبي ﷺ يتعوذون أن يدركوه ولهم من العلم ما ليس لنا ولهم من القدم ما ليس لنا فكيف بنا حين أدركناه على قلة علم وقلة صبر وقلة أعوان على الخير وفسادٍ من الناس وكدرٍ من الدنيا ؟ فعليك بالأمر الأول والتمسك به وعليك بالخمول فإن هذا زمن خمول وعليك بالعزلة وقلة مخالطة الناس فقد كان الناس إذا التقوا ينتفع بعضهم ببعض فأما اليوم فقد ذهب ذاك والنجاة في تركهم فيما نرى).

وكان أحمد بن حنبل يطيل السكوت فإذا تكلم قال: (اللهم أمتنا على الإسلام والسنة).
واعلم أن أهل السنة المتمسكين بها قليل في الناس قال سفيان الثوري: (استوصوا بأهل السنة خيرا فإنهم غرباء). فلا تصرفك زينة الدنيا ولا فتنة البدعة عن اتباع السنة. وإذا أردت التفقه بالسنة فعليك بكتاب عمدة الأحكام وبلوغ المرام وصحيح البخاري وصحيح مسلم والسنن الأربعة وشروح أهل العلم المتبعين للسنة واحرص على دراسة كتاب جامع العلوم والحكم للفقيه الرباني ابن رجب.

النصيحة الرابعة: الحذر من الابتداع في الدين

إياك وأن تبتدع في دين الله ما ليس منه سواء كان ذلك في الاعتقاد أو العبادة أو السلوك أو غيره فقد نهى الله عن مخالفة شرعه وسنة نبيه ﷺ قال تعالى: (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ). ومن ابتدع قولا أو فعلا مما يتقرب به إلى الله وليس له أصل في الدين فهو مردود عليه لأنه أمرٌ محدثٌ قال النبي ﷺ: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد). متفق عليه. وقال ابن رجب: (فكل من أحدث شيئا ونسبه إلى الدين ولم يكن له أصل من الدين يرجع إليه فهو ضلالة والدين منه بريء). وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ): (فأما الذين ابيضت وجوههم فأهل السنة والجماعة وأولو العلم وأما الذين اسودت وجوههم فأهل البدع والضلالة). فكن من أهل السنة ولا تكن من أهل البدعة فلا تتقرب إلى الله بكلام أو صمت أو حزن أو فرح أو احتفال أو تعظيم لشيء أو محبة له أو خوف منه أو خلوة أو خروج لموضع أو اعتكاف في بقعة أو سفر أو فعل أو امتناع من عادة أو مباح أو معاملة أو هيئة أو تحليل أو تحريم إلا بما شرعه الله عز وجل وشرعه رسوله ﷺ قال تعالى: (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ). فلا يعبد إلا الله وحده ولا يعبد إلا بما شرع وكل عبادة لم ترد صريحة في الكتاب والسنة فهي باطلة قال ابن تيمية: (قول أحمد بن حنبل: (إذا جاء الحلال والحرام شددنا في الأسانيد وإذا جاء الترغيب والترهيب تساهلنا في الأسانيد). وكذلك ما عليه العلماء من العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال ليس معناه إثبات الاستحباب بالحديث الذى لا يحتج به فإن الاستحباب حكم شرعي فلا يثبت إلا بدليل شرعي. ومن أخبر عن الله أنه يحب عملا من الأعمال من غير دليل شرعي فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله كما

لو أثبت الايجاب أو التحريم). وقد أخبر النبي ﷺ بكثرة الأهواء والاختلاف كما هو واقع في زماننا كل يدعي أنه على طريق الحق وقد أوصى الرسول ﷺ بلزوم الاتباع ونبذ الابتداع فقال: (فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضّوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة). رواه أبو داود والترمذي. فلا تتقرب إلى الله بالبدع والأهواء وتمسك بالأثر في كل أمر من أمور دينك قال سفيان الثوري: (إن استطعت ألا تحك رأسك إلا بأثر فافعل). وإياك والاستحسان بعقلك فإنه سلاح الشيطان الذي يزين به البدعة وكم ضل قوم لما أعملوا عقولهم القاصرة وزهدوا بالآثار الصحيحة واتبعوا آرائهم الفاسدة قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (إياكم والرأي فإن أصحاب الرأي أعداء السنن أعيتهم الأحاديث أن يعوها وتفلتت منهم أن يحفظوها فقالوا في الدين برأيهم). والتمسك بمذهب أئمة السنة فيه سلامة من الابتداع في الدين. ومن أعظم النعم على المؤمن أن يسلم مذهبه من البدعة قال أبو العالية: (قرأت المحكم بعد وفاة نبيكم ﷺ بعشر سنين فقد أنعم الله علي بنعمتين لا أدري أيُّهما أفضل أن هداني للإسلام ولم يجعلني حرورياً). وقال عباد بن عباد الخواص في وصيته لأهل السنة: (أما بعد اعقلوا والعقل نعمة فرب ذي عقل قد شغل قلبه بالتعمق فيما هو عليه ضرر عن الانتفاع بما يحتاج إليه حتى صار عن ذلك ساهيا. ومن فضلِ عقلِ المرء ترك النظر فيما لا نظر فيه حتى لا يكون فضل عقله وبالا عليه في ترك منافسة من هو دونه في الأعمال الصالحة أو رجل شغل قلبه ببدعة قلد فيها دينه رجالا دون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو اكتفى برأيه فيما لا يرى الهدى إلا فيها ولا يرى الضلالة إلا تركها يزعم أنه أخذها من القرآن وهو يدعوا إلى فراق القرآن أفما كان للقرآن حملة قبله وقبل أصحابه يعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابه وكانوا منه على منار لوضح الطريق وكان القرآن إمام رسول الله ﷺ وكان رسول الله ﷺ إماما لأصحابه

وكان أصحابه أئمة لمن بعدهم رجال معروفون منسوبون في البلدان متفقون في الرد على أصحاب الأهواء مع ما كان بينهم من الاختلاف وتسكع أصحاب الأهواء برأيهم في سبل مختلفة جائرة عن القصد مفارقة للصراط المستقيم فتوهت بهم أدلاؤهم في مهامة مضلة فأمعنوا فيها متعسفين في تيههم كلما أحدث لهم الشيطان بدعة في ضلالتهم انتقلوا منها إلى غيرها لأنهم لم يطلبوا أثر السابقين ولم يقتدوا بالمهاجرين وقد ذكر عن عمر أنه قال لزياد: هل تدري ما يهدم الإسلام ؟ زلة عالم وجدال منافق بالقرآن وأئمة مضلون). واعلم أن الزيادة في العبادة المؤقتة شرعا بحجة التزود من الخير بدعة مخالفة للسنة عن سعيد بن المسيب: (أنه رأى رجلا يكرر الركوع بعد طلوع الفجر فنهاه. فقال: يا أبا مُحَمَّد أيعذبني الله على الصلاة ؟. قال: لا ولكن يعذبك على خلاف السنة). وقال أيوب السختياني: (ما ازداد صاحب بدعة اجتهاداً إلا ازداد من الله بعداً). وإذا رأيت الرجل يستحسن بعقله ويستدل بالعمومات والآثار الواهية على إحداث بدع لم يكن يفعلها الصحابة ﷺ فاعلمْ أن مذهبه على طريقة أهل البدع وإن ادعى التحقيق والاستقراء قال أحمد بن حنبل: (من تأول القرآن بلا سنة تدل على معناها أو معنى ما أراد الله عز وجل أو أثر عن أصحاب الرسول ﷺ ويعرف ذلك بما جاء عن النبي ﷺ أو عن أصحابه فهم شاهدوا النبي ﷺ وشهدوا تنزيله وما قصه له القرآن وما عني به وما أراد به وخاص هو أو عام فأما من تأوله على ظاهر بلا دلالة من رسول الله ﷺ ولا أحد من أصحابه فهذا تأويل أهل البدع). ومن استحب ورداً أو عين عدداً أو خص عبادةً في زمن معين بناءً على تجربته فقد أحدث في دين الله ما ليس منه فإن دين الله لا يبنى على التجارب وإنما عباداته موقوفة على كلام الله وكلام رسوله الثابت عنه. وينبغي لك أن تشدد في النهي عن البدع ولا تتساهل فيها كحال الصوفية والجهال لأن البدع أشد خطرا من الذنوب قال سفيان الثوري: (البدعة أحب إلى إبليس من المعصية والمعصية

يتاب منها والبدعة لا يتاب منها). ولذلك كان أئمة السلف يجتهدون في إنكار البدع ولا يتساهلون في هذا الباب. واعلم أن نفوس العامة تحب الإحداث في الدين لجهلهم بالسنة وتسلط علماء السوء عليهم وتزيين الشيطان لهم فتراهم ينشطون في البدعة ويكسلون في السنة ويكثر انتشار البدع في بلاد المسلمين ومنهم من يعظم المشاهد أكثر من المساجد فيعكف عندها ويتقرب لها ويستدعي الخشوع ويسكب العبرات وينزل بها الحاجات وكل هذا خلاف لدين النبي مُحَّد ﷺ الذي جاء بتعظيم المساجد وعمارتها بالطاعات وتعطيل المشاهد من العبادات وتحريم اتخاذها عيدا ومسجدا وإهمال التعلق بها قال ابن عباس رضي الله عنهما: (ما يأتي على الناس من عام إلا أحدثوا فيه بدعة وأماتوا فيه سنة حتى تحيا البدع وتموت السنن). وعليك بمدارسة كتاب البدع والنهي عنها لابن وضاح القرطبي وتتبع كلام ابن تيمية في تأصيل هذا الباب وتفصيله.

النصيحة الخامسة: فضل طلب العلم

اطلب العلم بطريقة مؤصلة حتى ترفع الجهل والشبهة عن نفسك وعن غيرك قال تعال: (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ). وقال النبي ﷺ: (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين). متفق عليه. وقال مطرف بن عبد الله بن الشِّخِّير: (فضل العلم أحب إلي من فضل العبادة وخير دينكم الورع). وقال أحمد بن حنبل: (العلم لا يعدله شيء لمن صحت نيته. قالوا: وكيف تصح نيته؟ قال: ينوي أن يرفع الجهل عن نفسه وعن غيره). ومن وصية علي بن أبي طالب رضي الله عنه لكميل بن زياد: (احفظ عني ما أقول لك: الناس ثلاثة: فعالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع أتباع كل ناعق مع كل ريح يميلون لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق. يا كميل العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم يزكو على الإنفاق والمال تنقصه النفقة ومنفعة المال تزول بزواله. يا كميل محبة العالم دين يدان بها العلم يكسب العالم الطاعة لربه في حياته وجميل الأحدوثة بعد وفاته وصنيعة المال تزول بزواله والعلم حاكم والمال محكموم عليه). واعلم أنه ينبغي لك أن تشتغل بطلب العلم قبل المشاركة في الدعوة الى الله حتى لا تكون ممن يدعو الى الله على جهل وقلة بصيرة قال البخاري: (باب العلم قبل القول والعمل لقول الله تعالى: (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ). فبدأ بالعلم. وأن العلماء هم ورثة الأنبياء ورثوا العلم من أخذه أخذ بحظ وافر). وينبغي عليك أن تميز بين العلماء والوعاظ برسوخ العلم ولا تغتر بحلاوة الحديث وسحر البيان فالعبرة بالفقه والتأصيل في المعاني الشرعية وقد قل في زماننا الفقهاء وكثر القراء قال ابن مسعود رضي الله عنه: (إنكم في زمان كثير فقهاؤه قليل خطباؤه قليل سؤاله كثير معطوه العمل فيه قائد للهوى وسيأتي من بعدكم زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه كثير سؤاله قليل معطوه الهوى فيه قائد للعمل

اعلموا أن حسن الهدي في آخر الزمان خير من بعض العمل). فلا تشغل وقتك بتتبع القصاص فإنك لن تخرج منهم بكبير فائدة قال أبو عامر العقدي: (كنت سببا في طلب عبد الرحمن بن مهدي للحديث فقد كان يتبع القصاص فقلت له: لا يحصل في يدك من هؤلاء شيء). واسلك في طلب العلم طريقا معتبرا عند أهل العلم فاحرص على قراءة العلم عند شيخ صحيح الفهم واقرأ عنده أصول العلم في التفسير والحديث والاعتقاد والفقه وتدرج في العلم ولا تقفز عليه قال سفيان بن عيينة: (أول العلم الاستماع ثم الفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر فإذا استمع العبد إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه الصلاة والسلم بنية صادقة على ما يحب الله أفهمه كما يحب وجعل له في قلبه نوراً). وعليك بأخذ العلم بتؤدة وتفهم ولا تعجل في طلب العلم قال يونس بن يزيد: قال لي ابن شهاب: (يا يونس لا تكابر العلم فإن العلم أودية فأيها أخذت فيه قطع بك قبل أن تبلغه ولكن خذه مع الأيام والليالي ولا تأخذ العلم جملة فإن من رام أخذه جملة ذهب عنه جملة ولكن الشيء بعد الشيء مع الأيام والليالي). فإن استطعت على تحصيل شيخ فهذا هو الأصل في التلقي وإن حال دون ذلك مانع فتابع أهل العلم الكبار عن طريق الانترنت وتفقه عليهم ولا تخرج عن طريقتهم وأصولهم وتابع السؤال والبحث معهم حتى تفهم العلم وتتصوره تصورا تاما لا لبس فيه ولا تكون ممن يأخذ العلم عن طريق الكتب فإن هذا الطريق محفوف بالأخطاء وسوء الفهم والجرأة على أهل العلم واتباع الأراء الشاذة قال الشافعي: (من تفقه من بطون الكتب ضيع الأحكام). ومن كان قادرا على الأخذ عن أهل العلم الثقات ولكنه استكبر عن علومهم وزهد في مجالسهم واستخف بفضلهم مغترا بذكائه وحفظه فإنه غالبا لا يوفق للخير وسيؤول أمره إما إلى الغلو والشذوذ وإما إلى الانحلال والانتكاسة. ولا تنشغل في التأليف في مبتدأ الطلب وليكن همك إتقان العلم وحسن الفهم والثبات على طلب العلم وإياك والتعالم والانشغال

بالردود على الكبار فإن ذلك يفسد نيتك ويضيع علمك ويشتت جهدك. والزم جادة أهل العلم وتجنب شذوذات المسائل قال الأوزاعي: (إن الله إذا أراد أن يحرم عبده بركة العلم ألقى على لسانه المغاليط فلقد رأيتهم أقل الناس علما). والجدال في العلم يفسده ويقسي القلب قال مالك: (المراء والجدال في العلم يذهب بنور العلم من قلب الرجل). وعلامة العلم الصادق التواضع فيه وترك ادعاء الكمال فيه قال سعيد بن جبير: (لا يزال الرجل عالما ما تعلم فإذا ترك التعلم وظن أنه قد استغنى واكتفى بما عنده فهو أجهل ما يكون). وجرب نفسك في العلم زمانا فإن فتح عليك فالزمه فإن طلب العلم من أفضل الأعمال إن صحت به النية وإن لم يفتح عليك ولم تجد في نفسك رغبة أو لم ترزق فهما فخذ كفايتك منه ثم انصرف إلى غيره من الأعمال الصالحة. ومن أهم الكتب المصنفة في فضل طلب العلم كتاب جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر الأندلسي.

النصيحة السادسة: العمل ثمرة العلم

احرص على العمل بالعلم قال تعالى: (الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ). وقال رسول الله ﷺ: (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع عن عمره فيما أفناه وعن علمه ما عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن جسمه فيما أبلاه). رواه الترمذي وصححه. وقال علي بن أبي طالب ﷺ: (هتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل). وقال عبد الله بن مسعود ﷺ: (كنا لا نتجاوز عشر آيات حتى نتعلمهن ونعمل بهن ونعلمهن ونعلم حلالهن وحرامهن فأوتينا العلم والعمل). وقال الخطيب البغدادي: (ثم إني موصيك يا طالب العلم بإخلاص النية في طلبه وإجهاد النفس على العمل بموجبه فإن العلم شجرة والعمل ثمرة وليس يعد عالما من لم يكن بعلمه عاملا...فلا تأنس بالعمل ما دمت مستوحشا من العلم ولا تأنس بالعلم ما كنت مقصرا في العمل ولكن اجمع بينهما وإن قل نصيبك منهما). فعلم قليل بعمل خير من علم كثير بلا عمل. واعلم أن أعظم ما يفسد الورع ويذهب الخشوع الافتتان بحب الدنيا وغلبة الهوى قال عباد بن عباد الخواص: (اتقوا الله فإنكم في زمان رق فيه الورع وقل فيه الخشوع وحمل العلم مفسدوه فأحبوا أن يُعرفوا بحمله وكرهوا أن يُعرفوا بإضاعته فنطقوا فيه بالهوى لما أدخلوا فيه من الخطأ وحرفوا الكلم عما تركوا من الحق إلى ما عملوا به من باطل فذنوبهم ذنوب لا يستغفر منها وتقصيرهم تقصير لا يعترف به كيف يهتدي المستدل المسترشد إذا كان الدليل حائرا ؟ أحبوا الدنيا وكرهوا منزلة أهلها فشاركوهم في العيش وزايلوهم بالقول ودافعوا بالقول عن أنفسهم أن ينسبوا إلى عملهم فلم يتبرءوا مما انتفوا منه ولم يدخلوا فيما نسبوا إليه أنفسهم لأن العامل بالحق متكلم وإن سكت وقد ذكر أن الله تعالى يقول: (إني لست كل كلام الحكيم أتقبل ولكني أنظر

إلى همه وهواه فإن كان همه وهواه لي جعلت صمته حمدا ووقارا وإن لم يتكلم). وقال الله تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا). وقال: (خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ). قال: العمل بما فيه). وليظهر أثر العلم والسنة على سمتك وسلوكك وحياتك وتعاملك مع الآخرين والعلم وسيلة للعمل به لأن العمل هو المقصود والثمرة فلا تهمل الغاية وتهتم بالوسيلة. ولا يكن همك التكثر بالعلم والشهادات والمناصب وأنت بعيد كل البعد عن روح الإسلام وأحكامه وسننه كحال بعض المنتسبين للعلم من المتأخرين تجد أحدهم يحمل الإجازات في القراءات والأحاديث ويشار إليه بالبنان وهو غارق في البدعة ساكت عن إنكار الشرك مقيم على المعاصي مفتون بالدنيا والعياذ بالله. ومن تكثر من العلم وأهمل العمل كان علمه شرا ووبالا عليه يوم القيامة وكانت حاله كحال علماء اليهود الذين ذمهم الله في كتابه. وقال أبو الدرداء ﷺ: (إنما أخاف أن يكون ما يسألني عنه ربي أن يقول قد علمت فما عملت فيما علمت). وقال الحسن البصري: (لا تكن ممن يجمع علم العلماء وطرائف الحكماء ويجري في العمل مجرى السفهاء). وقد كان السلف الصالح يتعلمون السمت الحسن والهدي من أئمتهم ويحرصون أشدَّ الحرص على تطبيق السنة والعمل بالشرع خلافا لما شاع في الخلف قال ابن مفلح: (كان يحضر مجلس أحمد زهاء خمسة آلاف أو يزيدون أقل من خمسمائة يكتبون والباقي يتعلمون منه حسن الأدب وحسن السمت). وقال ابن قتيبة: (كان طالب العلم فيما مضى يسمع ليعلم ويعلم ليعمل ويتفقه في دين الله لينتفع وينفع وقد صار الآن يسمع ليجمع ويجمع ليذكر ويحفظ ليغلب ويفخر). وكن على حذر شديد من موت القلب بالشح والطمع في جمع حطام الدنيا الزائل والافتتان بزخرفها واتخاذ الدين مطية لها قال تعالى: (وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ). وقال الحسن البصري: (عقوبة العالم موت قلبه. قيل له: وما موت القلب ؟ قال: طلب الدنيا بعمل

الآخرة). فزك علمك وابذله بالمجان لله ولا تكن ممن ذهبت بركة علمه وزهد الناس فيه قال ربيعة: (لا ينبغي لأحد عنده شيء من العلم أن يضيع نفسه). واحرص على قراءة كتاب اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي.

النصيحة السابعة: الاهتمام بالصلاة

اعتن أشد الاعتناء بالصلاة وحافظ عليها في أوقاتها قال تعالى: (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ). والصلاة أعظم الأعمال في الإسلام بعد الشهادتين قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: (سألت رسول الله ﷺ: أي العمل أفضل؟. قال: (الصلاة لوقتها). قال: قلت: ثم أي؟ قال: (بر الوالدين). قال: قلت: ثم أي؟ قال: (الجهاد في سبيل الله)). متفق عليه. وتعلم فقه الصلاة من واجبات وسنن وتفقه في النصوص الواردة في عظم شأن الصلاة وفضائلها فإن المواظبة على الصلاة في مواقيتها من أعظم أسباب الفلاح والفوز في الدارين وترك الصلاة والتهاون بها من أعظم أسباب الخسارة والهوان وقد ورد وعيد شديد في ترك الصلاة وإضاعتها قال تعالى: (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا). وفي صحيح مسلم قال النبي ﷺ: (بين الرجل وبين الكفر والشرك ترك الصلاة). وقال النبي ﷺ: (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر). رواه أحمد. وذهب جمع من الأئمة إلى كفر تارك الصلاة قال ابن رجب: (وكثير من علماء أهل الحديث يرى تكفير تارك الصلاة بالكلية وحكاه إسحاق بن راهويه إجماعا منهم). وورد في السنة الصحيحة أن الصلاة تغسل الخطايا وتكفر السيئات وترفع الدرجات وتدخل الجنة وتكون نوراً يوم القيامة فاستكثر منها في الليل والنهار قال رسول الله ﷺ : (الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر). رواه مسلم. ومن أعظم وسائل تزكية النفس من شوائب الدنيا وتثبيت الدين لزوم الرباط في المساجد قال رسول الله ﷺ قال: (ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطى إلى المساجد

وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط). رواه مسلم. ورجل لا يهتم لأمر الصلاة ولا يحافظ عليها رجل لا خير فيه ولا مصداقية لدعوته لأنه استهان بعماد الدين وتعظيم المرء لدين الإسلام على قدر تعظيم الصلاة قال الإمام أحمد بن حنبل: (إنما قدرهم من الإسلام على قدر حظهم من الصلاة ورغبتهم في الإسلام على قدر رغبتهم في الصلاة فاعرف نفسك يا عبد الله واحذر أن تلقى الله ولا قدر للإسلام عندك فإن قدر الإسلام في قلبك كقدر الصلاة في قلبك). وعليك بكتاب الصلاة وحكم تاركها لابن القيم.

النصيحة الثامنة: المداومة على الأوراد الشرعية

كن من الذاكرين الله كثيرا ولا تكن من الغافلين قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا). وقال رسول الله ﷺ: (سبق المفردون. قالوا: وما المفردون يا رسول الله ؟. قال: الذاكرون الله كثيرا والذاكرات). رواه مسلم. فاحرص على الأوراد النافعة وهي الأذكار الشرعية الثابتة في القرآن والسنة من أذكار الصباح والمساء وأذكار الدخول والخروج من المنزل وأذكار الطعام وأذكار ركوب الدابة والسفر والنوم ونزول المطر وغير ذلك من الأحوال والمواطن التي ورد فيها ذكر صحيح قال تعالى: (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ). فاحرص على قراءة الكتب المعتمدة في هذا الباب ككتاب الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم وغيره من مختصرات أهل العلم المعروفين بتمييز الصحيح من الضعيف. والأذكار الشرعية المسنونة ترقق القلب وتطهر النفس وتزكي الروح وتصل العبد بمولاه وتنير له الطريق وتورثه الخشية والإنابة وتثمر له الفراسة وتثبته على الحق وتدفع عنه البلاء وتجلب له المعونة من الله وتغذي الروح بغذاء الإيمان قال أبو الدرداء ﷺ: (لكل شيء جلاء وإن جلاء القلوب ذكر الله عز وجل). أما الأذكار المحدثة المنتشرة عند أهل الطرق الصوفية فهي من وضع الجهال وليس لها أساس في الدين ولا خير فيها ولا بركة لأنها مخالفة للشرع فلا ترددها ولا تتعلمها ولا تنشرها واجتهد في إنكارها واحرص على التثبت في كل ذكر قبل أن تتعبد به. أما الدعاء فادع بخيري الدنيا والآخرة بأي لهجة بكل دعاء صالح ليس فيه تعد أو مخالفة قال أبو هريرة ﷺ: (دعوة المسلم مستجابة ما لم يدع بظلم أو قطيعة رحم أو يقول: قد دعوت فلم أجب). والأفضل أن تتحرى الأدعية النبوية الثابتة في السنة قال ابن تيمية: (وينبغي للخلق أن يدعوا بالأدعية المشروعة التي جاء بها الكتاب والسنة

فإن ذلك لا ريب في فضله وحسنه وأنه الصراط المستقيم). فاجتهد في الدعاء وأحسن الظن بربك وكن موقنا بالإجابة قال تعالى: (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ). وقال رسول الله ﷺ: (إذا دعا أحدكم فلا يقل اللهم اغفر لي إن شئت ولكن ليعزم المسألة وليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه). متفق عليه. وقال الأوزاعي: (أفضل الدعاء الإلحاح على الله عز وجل والتضرع إليه). وحقيقة الدعاء الافتقار إلى الله المنعم وإظهار التذلل له قال مورِّق العجلي: (ما وجدت للمؤمن مثلا إلا رجلا في البحر على خشبة فهو يدعو يارب يارب لعل الله عز وجل أن ينجيه). وداوم على قراءة حزب من القرآن كل يوم وليلة ولو كان يسيرا ولا تترك هذا الأمر العظيم مهما داهمتك الأمور فاحرص على ختم القرآن على الدوام كل فترة على حسب نشاطك واجتهادك المهم لا تقطع صلتك بالقرآن بل كن قريبا من ألفاظه ومعانيه وحكمه وعبره وأحكامه ليكون لك نورا ونبراسا في حياتك ومماتك وقد ورد فضل عظيم في تلاوته وشفاعته يوم القيامة قال تعالى: (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ). وقال ابن مسعود ﷺ: (يقرؤونه كما أنزل ولا يحرفونه ويحلون حلاله ويحرمون حرامه). وقال رسول الله ﷺ: (من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول: ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف). رواه الترمذي وصححه. ومن قرأ القرآن وعمل به كانت له بشارتان الهداية في الدنيا والسعادة في الآخرة قال عبدالله بن عباس ﷺ: (تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ألا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، ثم قرأ: (فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى)).

النصيحة التاسعة: فقه التنسك

ينبغي لك أن تكون فقيها في باب التنسك (التعبد) تداوم على فعل الطاعات ولا تنقطع عن الأعمال الصالحة مهما لحقك فتور أو طرأت عليك مشاغل متمثلا قول الله تعالى: (وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ). وكن حريصا على الاستكثار من الصالحات قال تعالى: (سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ). وأهم شيء في هذا الباب العناية بالفرائض في أوقاتها ثم المداومة على فعل النوافل المهمة كالسنن الرواتب وصلاة الوتر وصلاة الضحى وصوم الأيام المسنونة كعاشوراء ويوم عرفة وست شوال وثلاثة أيام من كل شهر فإن هذه النوافل تحمي فرائضك وتقوي صلتك بالله وتجعلك مستمرا في النسك وتمنحك معية الله بالنصرة والتوفيق والحفظ قال رسول الله ﷺ: (إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه). رواه البخاري. فإن سافرت أو مرضت كتب الله لك أجرها رحمة ولطفا منه قال رسول الله ﷺ: (إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيما صحيحا). رواه البخاري. وإن فاتك شيء من التطوعات لشغل أو نوم فاحرص على قضائها ولا تفرط فيها فقد كان النبي ﷺ يقضي النوافل الفائتة ولا يتركها كما في صحيح مسلم: (كان ﷺ إذا نام من الليل أو مرض صلى من النهار ثنتي عشر ركعة). واعلم أن المواظبة على عمل يسير دائم خير من الاجتهاد في عمل كثير منقطع فالعبرة في دوام العمل وليست في كثرته لأن المقصود استمرار الثواب وصلاح القلب ودوام الذكر والإعراض عن الغفلة قالت عائشة رضي الله عنها: (سئل النبي ﷺ: أي

الأعمال أحب إلى الله ؟ قال: أدومها وإن قل). رواه البخاري. وفي صحيح مسلم: (كان رسول الله ﷺ إذا عمل عملا أثبته). وكان عمله ﷺ ديمة يعني دائم. وينبغي عليك ألا تشدد على نفسك في العبادة وتمنعها حقها المباح وحظها من الراحة والترفه وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك عن أنس رضي الله عنه قال: (دخل النبي ﷺ المسجد فإذا حبل ممدود بين الساريتين فقال: ما هذا الحبل ؟ قالوا هذا حبل لزينب فإذا فترت تعلقت به. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: حلوه ليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر فليرقد). متفق عليه. واعلم أن سلوك التشديد في العبادة يفضي إلى الانتكاسة والإعراض عن الدين قال رسول الله ﷺ: (إن الدين يسر ولن يشاد أحد الدين إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة). رواه البخاري. فلا ينبغي لك أن تكلف نفسك ما لا تطيق فتلزم نفسك بالنذور والأعمال الشاقة لنهي النبي ﷺ عن ذلك بقوله: (يا أيها الناس عليكم من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا). رواه مسلم. ومن الفقه في هذا الباب أنك إذا وجدت فراغا في وقتك ونشاطا في نفسك فأقبل على الله واستكثر من العبادة وإذا شغلت أو نزل بك مانع فانصرف إلى ما ينفعك مع الحفاظ على دينك قال تعالى: (فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب). وقد كان ذلك هدي النبي ﷺ في صوم التطوع قالت عائشة ﵂: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم). متفق عليه. ومن فقه المؤمن التنويع بين العبادات والحرص على الاتيان بجميع الصفات الواردة في العبادات لينشرح الصدر وينشط على فعل الخير قال تعالى: (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ). وإن وجد ألفته وراحته في عبادة معينة أقبل عليها واستكثر منها وأصاب من الأخرى بسهم قيل لعبد الله بن مسعود: (إنك لتقل الصوم فقال إنه يشغلني عن قراءة القرآن وقراءة القرآن أحب إلي منه). ومن الأصول

المهمة في هذا الباب يجب أن تكون عبادتك على علم وبصيرة موافقة لهدي النبي ﷺ ولا تكون على طريقة المتصوفة الجهال ذُكر عند عبدالرحمن بن مهدي قوم من أهل البدع واجتهادهم في العبادة فقال: (لا يقبل الله إلا ما كان على الأمر والسنة ثم قرأ (وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ). فلم يقبل ذلك منهم ووبخهم عليه ثم قال: إلزم الطريق والسنة).

النصيحة العاشرة: التوبة النصوح

بادر بالتوبة والاستغفار بالليل والنهار من جميع الذنوب قال تعالى: (وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ). وقال النبي ﷺ: (إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتّى تطلع الشمس من مغربها). رواه مسلم. وركز على فقه التوبة ومعرفة درجات الذنوب وعظم خطرها كما ثبت في النصوص وكن على حذر من التهاون في صغار الذنوب والإصرار على المعاصي والمجاهرة بالكبائر وقد ورد وعيد للمجاهرين بالمعصية قال رسول الله ﷺ: (كل أمتي معافى إلا المجاهرين وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملا ثم يصبح وقد ستره الله عليه فيقول: يا فلان عملت البارحة كذا وكذا وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه). متفق عليه. فإذا ابتليت بذنب فاستر ذنبك ولا تهتك ستر الله عليك وابكِ على خطيئتك لئلا تكون من المبارزين لله فمن كان مبارزاً الله بالذنوب مستخفا بها لم يوفقه الله لهدايته ونيل محبته. ومن أدمن الذنوب لم يجعل الله له فرقانا يميز به بين الحق والباطل وحرم حلاوة الإيمان ففي جامع الترمذي قال رسول الله ﷺ: (إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكت في قلبه نكتة فإن هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه فإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه وهو الران الذي ذكر الله: (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ)). وقال الحسن البصري: (هو الذنب على الذنب حتى يعمى القلب فيموت). ومهما زلت بك القدم فلا يغلبنك الشيطان ويلبس عليك ويقطع عليك طريق التوبة بل بادر بالتوبة كلما أذنبت ولا تيأسْ من رحمة الله فإن الله يقبل التوبة من عبده مهما أساء ورحمته وسعت كل شيءٍ قال تعالى: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ). وفي صحيح مسلم قال

النبي ﷺ: (والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم). فلازمْ الاستغفار ولو كنت مذنباً وعاتبْ نفسك ليرحمك المولى ويوفقك للتوبة ولا يغلبنّك الشيطان قيل للحسن البصري: (ألا يستحي أحدنا من ربه يستغفر من ذنوبه ثم يعود ثم يستغفر ثم يعود فقال: ودَّ الشيطان لو ظفر منكم بهذه فلا تملوا من الاستغفار). واعلم أن أخطر الذنوب بعد الشرك الوقوع في المظالم والتساهل في أداء حقوق الخلق قال تعالى: (وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ). وقال رسول الله ﷺ: (اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة). رواه مسلم. وقال معاوية رضي الله عنه: (إني لأستحي أن أظلم من لا يجد علي ناصراً إلا الله). وعليك بالتوبة النصوح قال قتادة: (التوبة النصوح هي التوبة الصادقة الناصحة). وقال ابن رجب: (وظاهر النصوص تدل على أن من تاب إلى الله توبة نصوحا واجتمعت شروط التوبة في حقه فإنه يقطع بقبول الله توبته كما يقطع بقبول إسلام الكافر إذا أسلم إسلاما صحيحا وهذا قول الجمهور وكلام ابن عبد البر يدل على أنه إجماع). ومن الكتب المهمة في هذا الباب كتاب الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم.

النصيحة الحادية عشر: حسن الخلق

عليك بأفضل لباس وأجمل زينة تستر به عيوبك وتنشر فضائلك وتنزلك منزلة المتقين وتقيك شر أعدائك ذلك هو حسن الخلق الذي أرشد إليه الله ورسوله قال تعالى: (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا). وقال النبي ﷺ: (اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن). رواه الترمذي وحسنه. وكان رسول الله ﷺ غاية في حسن الخلق قال تعالى في وصفه: (وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ). وقال أنس رضي الله عنه: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا). متفق عليه. فتشبه بخلق النبي ﷺ واجعله قدوة لك في سلوكك وجميع أخلاقك. وحسن الخلق جانب عظيم في الدين غفل عنه بعض أهل الديانة وهو داخل في منهج أهل السنة قال ابن تيمية في تقرير هذا المعنى: (ويدينون بالنصيحة للأمة ويعتقدون معنى قوله ﷺ: (المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً) وشبّك بين أصابعه. وقوله: (مثل المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالحمّى والسهر). ويأمرون بالصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء والرضا بمر القضاء. ويدعون إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ويعتقدون معنى قوله ﷺ: (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً). ويندبون إلى أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك ويأمرون ببر الوالدين وكذا يأمرون بصلة الرحم وحسن الجوار وينهون عن الفخر والخيلاء والبغي والاستطالة على الخلق بحق أو بغير حق ويأمرون بمعالي الأخلاق وينهون عن سفاسفها. وكل ما يقولونه ويفعلونه من هذا وغيره فإنما هم فيه متبعون للكتاب والسنة وطريقتهم هي دين الإسلام الذي بعث الله به مُحَمَّدًا ﷺ). واعلم أن جماع حسن الخلق في أمرين عظيمين: بذل الخير وكف الشر. فبذل الخير يدخل فيه الصدق والأمانة وحسن

الجوار وصلة الرحم وحسن العهد والوفاء والمكافأة على المعروف وغير ذلك من خصال الخير. وكف الشر يدخل فيه احتمال الأذى وكظم الغيظ والصبر على المكروه والعفو عند المقدرة ومقابلة الإساءة بالإحسان وغير ذلك قال ابن المبارك في بيانه: (هو بسط الوجه وبذل المعروف وكف الأذى). ومن أعظم صور حسن الخلق أن تحتمل الأذى من النّاس ولا تغضب قال أحمد بن حنبل في حسن الخلق: (أن تحتمل ما يكون من الناس). وتذكر أن المرء يظهر خلقه على حقيقته عند المضايق وسوء الأحوال فمن كظم غيظه حينئذ كان دليلا على صدق حسن خلقه أما في السعة والأحوال الحسنة فكل يتظاهر بحسن الخلق قال النبي ﷺ: (ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب). متفق عليه. وينبغي عليك أن تستحضر الاحتساب في حسن خلقك وأنك تبذل معروفك وتكف أذاك لما ترجوه عند الله من الثواب والرضا ولا تفعل ذلك لمدح الخلق وثنائهم واحتسابك يثبتك على حسن الخلق ويزيدك توفيقا. واعلم أن الإحسان إلى الخَلْق أعظم سلاح لكف الأذى عنك والوقاية من شر أعدائك والسلامة من حاسديك قال تعالى: (وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ). ولا تنس أبداً أن حسن الخلق أعظم رسول لدعوتك واستجابة الناس للهداية التي تنشرها بينهم وسوء الخلق ينفر الناس عن قبول الحق واتباعه قال تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ). قال عبد الرحمن السعدي: (فالأخلاق الحسنة من الرئيس في الدين تجذب الناس إلى دين الله وترغبهم فيه مع ما لصاحبه من المدح والثواب الخاص والأخلاق السيئة من الرئيس في الدين تنفر الناس عن الدين وتبغضهم إليه مع ما لصاحبها من الذم والعقاب الخاص). ولما بعث الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ ابنَ عباس ﷺ لنصيحة الخوارج وردِّهم إلى السنة قال له: (إني أتخوفهم عليك. فقلت: كلا إن شاء الله تعالى

وكنت حسن الخلق لا أوذي أحداً). فلا يليق بطالب العلم أن يكون سيء الخلق قاسي القلب. وينبغي للمؤمن أن يكون عف اللسان طاهراً من الفحش والسباب والشتائم واللعن فعن أنس بن مالك ﷺ قال: (لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم سَبَّابًا وَلَا فَحَّاشًا وَلَا لَعَّانًا وَكَانَ يَقُولُ لِأَحَدِنَا عِنْدَ الْمَعْتَبَةِ مَا لَهُ تَرِبَتْ جَبِينُهُ). رواه البخاري.

النصيحة الثانية عشر: السمع والطاعة للإمام الشرعي

اسمعْ وأطعْ لإمامك الشرعي الذي بايعه أهل الحق أو غلب على المسلمين بسيفه واستتب له الأمر قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ). وقال ﷺ: (على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يُؤمر بمعصية فإن أُمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة). متفق عليه. وإنما الطاعة للإمام تكون في المعروف ولا طاعة له في المعصية لقول الرسول ﷺ: (لا طاعةَ في معصية الله إنما الطاعة في المعروف). متفق عليه. فلا يحل لك أن تنزع يداً من طاعة الأمير أو تقاتله أو تشارك في التحريض عليه ولو رأيت منه ما تكره من الأثرة والمظالم وهذا أصلٌ مجمعٌ عليه عند أهل السنة قال سفيان الثوري لشعيب بن حرب: (ياشعيب لا ينفعك ما كتبت حتى ترى الصلاة خلف كل برٍ وفاجرٍ). وقال أحمد بن حنبل: (ومن خرج على إمامٍ من أئمة المسلمين وقد كان الناس اجتمعوا عليه وأقروا له بالخلافة بأيّ وضعٍ كان بالرضا أو بالغلبة فقد شق هذا الخارج عصا المسلمين وخالف الآثارَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فان مات الخارج عليه مات ميتة جاهلية. ولا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه لأحد من الناس فمن فعل ذلك فهو مبتدع على غير السنة والطريق). وقال أبو بكر الأثرم: (تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ فكثرت عنه وعن الصحابة والأئمة بعدهم رضي الله عنهم يأمرون بالكف ويكرهون الخروج وينسبون من خالفهم في ذلك إلى فراق الجماعة ومذهب الحرورية وترك السنة). وقال ابن تيمية: (ولهذا استقر أمر أهل السنة على ترك القتال في الفتنة للأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم وصاروا يذكرون هذا في عقائدهم ويأمرون بالصبر على جور الأئمة وترك قتالهم وإن كان قد قاتل في الفتنة خلق كثير من أهل العلم والدين). وتأمل في موقف أئمة السلف

الصالح مالك والليث والثوري والأوزاعي وابن المبارك والشافعي وأحمد وغيرهم من أمرائهم كيف لزموا السمع والطاعة مع وجود الأثرة وسفك الدماء والظلم في زمانهم. ويحرم عليك التحريض والخروج على إمامك وهذا طريق محفوف بالفساد والشرور وإراقة دماء المسلمين وتعطيل المصالح ولذلك شدَّد أئمة السنة النكير عليه قال ابن تيمية: (وكان أفاضل المسلمين ينهون عن الخروج والقتال في الفتنة كما كان عبد الله بن عمر وسعيد بن المسيب وعلي بن الحسين وغيرهم ينهون عام الحرة عن الخروج على يزيد. وكما كان الحسن البصري ومجاهد وغيرهما ينهون عن الخروج في فتنة ابن الأشعث). واعلمْ أن هذا الأصل هو الفيصل بين أهل السنة والخوارج فإذا رأيت الرجل يستخف بهذا الأمر ويرى الخروج على إمامه وإن لم يخرج فانفض يدك منه ولا ترجو فيه خيراً وإن كان عالماً كثير الرواية قال ابن تيمية: (أهل البدع من الخوارج والشيعة والمعتزلة وغيرهم يرون قتال أئمة الجور والخروج عليهم إذا فعلوا ما هو ظلم أو ما ظنوه هم ظلماً ويرون ذلك من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر). وإن كنت في بلد غربة ليس فيها إمام شرعي فلا يحل لك أن تشهر سيفك على العباد وتستبيح دمائهم فهذا من من طريقة الخوارج الذين ينتهكون حرمات المسلمين ويخفرون الذمم ويفسدون في الأرض كما قال النبي ﷺ: (ومن خرج على أمتي يضرب برّها وفاجرها لا يتحاشى من مؤمنها ولا يفي لذي عهد عهده فليس مني ولست منه). رواه مسلم.

النصيحة الثالثة عشر: لزوم الجماعة

اهتمْ بشعيرة الأخوة بين المؤمنين وتدارس النصوص الواردة في فضلها واحرص على جمع كلمة المسلمين على الحق وذكرهم بأهمية الاجتماع والتعاون وترك الاختلاف والتنابذ قال تعالى: (وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا، وَلاَ تَفَرَّقُواْ). وقال ﷺ: (إنَّ الله يرضى لكم ثلاثا فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا). رواه مسلم. فاحرص على الائتلاف مع جيرانك وأهل بلدك وتعاون معهم في الخير قال تعالى: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ). واصبر على مخالطتهم واحلم عن جاهلهم وأعرض عن سفيههم وعلِّمْهم الحق برفق قال النبي ﷺ: (المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم). رواه أحمد. واعلم أن هناك أسبابا تدعو للألفة والمحبة بين المسلمين منها السلام والنصيحة والتواضع والتعاون على الخير والقيام بحقوقهم والهدية فاحرصْ على تعاطيها قال رسول الله ﷺ: (لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم). رواه مسلم. وتجنبْ أسبابَ الفرقة والشقاق بين المسلمين من التنازع والتقاطع والحسد والكبر والغيبة والنميمة والغش والظلم وغيرها قال رسول الله ﷺ: (لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيامٍ). متفق عليه. واعلم أن النزاع بين المسلمين يوجب ضعفهم بين الأمم وتفرقهم وتسلّطِ الأعداء عليهم كما قال تعالى: (وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ). وقال عباد بن عباد الخواص: (اتّقوا الله وما حدث في قرّائكم وأهل مساجدكم من الغيبة والنميمة والمشي بين الناس بوجهين ولسانين وقد ذكر أن من كان ذا وجهين في الدنيا كان ذا وجهين في النار يلقاك صاحب الغيبة فيغتاب

عندك من يرى أنك تحب غيبته ويخالفك إلى صاحبك فيأتيه عنك بمثله فإذا هو قد صاب عند كل واحد منكما حاجته وخفي على كل واحد منكما ما يأتي عند صاحبه حضوره عند من حضره حضور الإخوان وغيبته عند من غاب عنه غيبة الأعداء من حضر منهم كانت له الأثرة ومن غاب منهم لم تكن له حرمة يفتن من حضره بالتزكية ويغتاب من غاب عنه بالغيبة فيا لعباد الله ! أمَا في القوم من رشيدٍ ولا مصلحٍ به يقمع هذا عن مكيدته ويردُّه عن عرض أخيه المسلم بل عرف هواهم فيما مشى به إليهم فاستمكن منهم وأمكنوه من حاجته فأكل بدينه مع أديانهم. فاللهَ اللهَ ذبُّوا عن حرم أعيانكم وكفُّوا ألسنتكم عنهم إلا من خير وناصحوا الله في أمتكم). ومن أعظم ما يؤلف القلوب ويسكن النفوس عند التخاصم القول اللين قال تعالى: (وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا). والغلظة في القول والجفاء بغير حق ينفر القلوب ويفرق المسلمين. وكنْ سبّاقا إلى العفو وحسن الظن والإصلاح بين الناس ونشر المودة ولا تكن فتَّاناً متشوّفاً للخصومات فرحاً بالنزاعات رأساً في القطيعة وشق الصف فيما بينهم. واعلم أن المؤمن بوحده ضعيف فريسة للشيطان والهوى والفتن وبإخوانه المؤمنين قوي متحصّن من الشرور والفتن قال رسول الله ﷺ: (وعليك بالجماعة فإن الذئب يأكل من الغنم القاصية). رواه أحمد وغيره. فانفراد المؤمن عن الجماعة سبب لهلاكه وافتتانه ولهذا نهى النبي ﷺ عن الوحدة في السفر كما في صحيح البخاري: (لو يعلم الناس ما في الوحدة ما أعلم ما سار راكب بليل وحده). وأرشد إلى الاجتماع في السفر والطعام وما ورد في مشروعية القيام بحقوق المسلمين العامة والخاصة تأكيد وتعزيز لمعنى الحرص على الجماعة والنهي عن الفرقة.

النصيحة الرابعة عشر: الاقتداء بالسلف الصالح

يجب عليك أن تتبع مذهب السلف الصالح الذي كان عليه أصحاب النبي ﷺ فمن بعدهم ممن اتبعهم بإحسان ولا تخالفهم في مسألة أجمعوا عليها ولا تخرج عن أصولهم وأقوالهم فيما اختلفوا فيه فتحدث رأيا لم يقولوا به قال تعالى: (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنه). واعلمْ أن السلامة والنجاة في اتباعهم والضلالة والهلاك في مخالفة طريقتهم قال تعالى: (وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا). وقال النبي ﷺ مبينا فضل السلف الصالح: (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم). متفق عليه. وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (من كان منكم متأسياً فليتأس بأصحاب رسول الله ﷺ فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً وأقومها هدياً وأحسنها حالاً قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم). وقال أحمد بن حنبل: (أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والإقتداء بهم وترك البدع وكل بدعة فهي ضلالة). وقال ابن قدامة المقدسي: (قد ثبت وجوب اتباع السلف رحمة الله عليهم بالكتاب والسنة والإجماع والعبرة دلت عليه). وقال ابن تيمية: (والخير كل الخير في اتباع السلف الصالح والاستكثار من معرفة حديث رسول الله ﷺ والتفقه فيه والاعتصام بحبل الله وملازمة ما يدعو إلى الجماعة والألفة ومجانبة ما يدعو إلى الخلاف والفرقة). ومن أصول منهج السلف الصالح الاعتصام بالكتاب والسنة وعدم التفريق بينهما وعدم معارضة القرآن بالرأي وقال ابن تيمية: (من أعظم ما أنعم الله به عليهم اعتصامهم بالكتاب والسنة فكان من الأصول المتفق عليها بين

الصحابة والتابعين لهم بإحسان أنه لا يقبل من أحد أن يعارض القرآن لا برأيه ولا ذوقه ولا معقوله ولا قياسه ولا وجده). وبعض الناس يظهر الانتساب للسلف الصالح ويكثر الكلام في هذه المسائل وعند التحقيق تجد مذهبه يخالف السلف الصالح في بعض الأصول والمسالك فينزع مذهبه إلى مذهب الخوارج أو مذهب المرجئة أو مذهب الإخوان والمرجع في معرفة مذهب السلف وتطبيق منهجهم هو فهم أئمة السنة الذين تلقوا العلم من أهل القرون المفضلة واجتمعت عليهم الأمة وشهدت لهم بالإمامة في السنة والجماعة ولم يحفظ عنهم زلة في الأصول كالأوزاعي والليث بن سعد ومالك بن أنس وحماد بن زيد وسفيان الثوري وعبد الله ابن المبارك وسفيان بن عيينة والشافعي وعبد الله بن الزبير الحميدي وأبي عبيد القاسم بن سلام وإسحاق بن راهويه وأحمد بن حنبل فمن جعل عالما متأخرا في منزلة أئمة السلف واحتكم إلى مذهبه وتابعه على رأيه المحدث فقد أزرى بأئمة السنة وشذ عن جادتهم ولم يوفق لمنهج أهل السنة قال مُحَّمد بن عبد الهادي المقدسي: (ولا يجوز إحداث تأويلٍ في آيةٍ أو سنةٍ لم يكن على عهد السلف ولاعرفوه ولابينوه للأمة فان هذا يتضمن أنهم جهلوا الحق في هذا وضلوا عنه واهتدى إليه هذا المعترض المستأخر فكيف إذا كان التأويل يخالف تأويلهم ويناقضه). وقال ابن رجب: (فأما الأئمة وفقهاء أهل الحديث فإنهم يتبعون الحديث الصحيح اذا كان معمولا به عند الصحابة ومن بعدهم أو عند طائفة منهم فأما ما اتفق السلف على تركه فلا يجوز العمل به لأنهم ما تركوه إلا على علم أنه لا يعمل به). وأهل السنة حقا هم المتبعون لآثار السلف ولا يدخل فيهم المبتدعة المتكلمون على سائر فرقهم قال أبو نصر السجزي: (فأهل السنة هم الثابتون على اعتقاد ما نقله إليهم السلف الصالح رحمهم الله عن الرسول ﷺ أو عن أصحابه رضي الله عنهم فيما لم يثبت فيه نص في الكتاب ولا عن الرسول ﷺ لأنهم رضي الله عنهم أئمة وقد أمرنا باقتداء آثارهم واتباع سنتهم وهذا أظهر من أن يحتاج فيه

إلى إقامة برهان). ومن أهم صفات السلفي الصادق الوضوح والثبات في لزوم طريقة السلف وعدم المراوغة والتلون على حسب الظروف فبعض الناس يقرر مذهب السلف وينافح فيه فإذا زار قوما من أهل البدع أو كانت له مصلحة عندهم أظهر لهم التسامح والموافقة وبعض الناس تحفظ عنه بدعة في الاعتقاد فإذا أنكر عليه أظهر الرجوع إلى السنة تدليسا لينال التزكية ثم يتبين فيما بعد أنه ما زال على بدعته ولم يتبرأ منها وبعض الناس يخوض في الفتنة ويخالف منهج السلف ثم يعتذر على طريقة الخلف ولا يظهر التوبة الصحيحة من ذلك ولا يقر بخطئه ورجوعه للسنة قال حذيفة ﷺ: (فإن الضلالة حق الضلالة أن تعرف اليوم ما كنت تنكر قبل اليوم وأن تنكر اليوم ما كنت تعرف قبل اليوم وإياك والتلون فإن دين الله واحد). وقال إبراهيم النخعي: (كانوا يرون التلون في الدين من شك القلوب في الله). وقال مالك بن أنس: (الداء العضال التنقل في الدين). فإياك والتلفيق بين مذهب السلف ومذهب الخلف ويجب على المرء أن يكون صادقا مع نفسه في اختيار المذهب ولا يلفق ويوفق بين السنة والبدعة ويعمم الخطاب ويسكت عن بيان الحق في مواطن النزاع ويعتذر عن المخالفين ويمرر مذهبه الشاذ بحكاية الخلاف وشماعة الاجتهاد ونقض مذهب عامة السلف فإن هذا المسلك مخالف لطريقة أئمة السنة قال ابن تيمية: (ولا عيب على من أظهر مذهب السلف وانتسب إليه واعتزى إليه بل يجب قبول ذلك منه بالاتفاق فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقا). وقال شيخنا صالح الفوزان: (فالذي يزعم أنه على مذهب أهل السنة والجماعة يتبع طريق أهل السنة والجماعة ويترك المخالفين. أما أنه يريد أن يجمع بين الضب والنون كما يقولون أي: يجمع بين دواب الصحراء ودواب البحر فلا يمكن هذا أو يجمع بين النار والماء في كفة فلا يجتمع أهل السنة والجماعة مع مذهب المخالفين لهم كالخوارج والمعتزلة والحزبيين ممن يسمونهم: (المسلم المعاصر) وهو الذي يريد أن يجمع ضلالات أهل العصر مع منهج

السلف فلا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها. فالحاصل أنه لا بد من تمييز الأمور وتمحيصها). وأهل الحديث المتبعون للسلف الصالح هم الفرقة الناجية يوم القيامة قال ابن تيمية: (إن أحق الناس بأن تكون هي الفرقة الناجية أهل الحديث والسنة الذين ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله وهم أعلم الناس بأقواله وأحواله وأعظمهم تمييزا بين صحيحها وسقيمها وأئمتهم فقهاء فيها وأهل معرفة بمعانيها واتباعا لها تصديقا وعملا وحبا وموالاة لمن والاها ومعاداة لمن عاداها). وإذا رأيت رجلا أو جماعة لا تتمسك بمذهب السلف الصالح ولا تتدين بفهمهم للنصوص فاعلم أنهم على ضلالة وأنهم أخطاوا طريق السنة فلا تغتر بهم. وأحسن ما صنف في هذا الباب رسالة بيان فضل علم السلف على علم الخلف لابن رجب.

النصيحة الخامسة عشر: اجتنبْ كل الفرق المحدثة

اجتهدْ في اتباع الفرقة الناجية التي أشاد النبي ﷺ بفضلها وأخبر بنجاتها واجتنب جميع الطرق والجماعات المحدثة التي خالفت طريق السنة وتنكبت جادة السلف الصالح وافترقت على الضلالة قال الله تعالى: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ). وقال رسول الله ﷺ: (افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة. قيل: من هي يا رسول الله؟ قال: من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي). رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه. وقال أبو العالية: (تعلموا الإسلام فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه وعليكم بالصراط المستقيم ولا تنحرفوا عن الصراط المستقيم يميناً وشمالاً وعليكم بسنة نبيكم وإياكم وهذه الأهواء التي تلقي بين أهلها العداوةَ والبغضاءَ). فأعرضْ عن اتباع الفرق القديمة من الخوارج والمرجئة والجهمية والرافضة والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية ولا تتبعْ كلَّ الجماعات الدعوية الحديثة ممن خرجوا عن طريقة السلف الصالح وبنوا مذهبهم على الرأي المحدث والتحزب المقيت فإنَّ الحق والسنة في مخالفتهم واتباع النصوص والآثار السلفية ولا تغتر بالشعارات البراقة والأسماء الرنانة إنما العبرة بصدق الانتماء لمذهب أهل الحديث من أتباع السلف الصالح قال شيخنا محمد ابن عثيمين: (يستفاد من قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (إنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي). أنه إذا كثرت الأحزاب في الأمة لا تنتم إلى حزبٍ. هنا ظهرت طوائف من قديم الزمان خوارج معتزلة جهمية شيعة بل رافضة ثم ظهرت أخيراً إخوانيون وسلفيون وتبليغيون وما أشبه ذلك كل هذه الفرق اجعلها على اليسار وعليك بالأمام وهو ما

أرشد إليه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين)). وقد أفتى شيخنا ابن باز في آخر حياته أنَّ جماعةَ الإخوان وجماعة التبليغ داخلتان في الثنتين والسبعين فرقة المفارقة لأهل السنة الداخلة في الوعيد. وقال شيخنا صالح الفوزان: (أنا أتبرأ من منهج الإخوان المسلمين). وسئل شيخنا الفوزان أيضا ماالحكم الشرعي في تأسيس الأحزاب الدينية على أساس إقامة شرع الله والدعوة إلى الله فأجاب: (الإسلام ما فيه أحزاب المسلمون حزب واحد حزب الله ﴿إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. ولا ينقسمون إلى أحزابٍ وجماعاتٍ). فإذا وجدتَ فرقة أهل الحديث المتبعين للسنة في بلدك فكُنْ معهم من غير تعصب وغلو وإن كنت غريباً لا تجد ناصراً لك في السنة فتمسك بالأثر واجتنبْ كلَّ الفرق الضالة ولا يضرك انفرادك عن الخلق ما دمت مقيما على السنة فأنت موافق للجماعة قال حذيفة ﷺ في حديث الفتن: (قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك. قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم. قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام. قال: فاعتزلْ تلك الفرق كلها ولو أنْ تعضَّ بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك). متفق عليه. وقال عبد الله بن مسعود ﷺ: (الجماعة ما وافق الحق ولو كنت وحدك). وقال الأوزاعي: (عليك بآثار من سلَف وإن رفضك الناس وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوه بالقول فإن الأمر ينجلي وأنت على طريق مستقيم). وقال نعيم بن حماد: (إن الجماعة ما وافق طاعة الله عز وجل وإذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أنْ تفسد وإن كنت وحدك فإنك أنت الجماعة). ولا تجالس أهل البدع ولا تفرح بصحبتهم ولا تنظر في كتبهم ولا توقرهم واجتنب طريقتهم واعلمْ أنَّ هذا أصلٌ متفقٌ عليه بين أئمة السلف الصالح قال أبو عثمان الصابوني: (واتفقوا مع ذلك على القول بقهر أهل البدع وإذلالهم وإخزائهم وإبعادهم وإقصائهم والتباعد منهم ومن مصاحبتهم ومعاشرتهم والتقرب إلى الله عز وجل بمجانبتهم

ومهاجرتهم). وقال عبد اللطيف آل الشيخ: (من السنن المأثورة عن سلف الأمة وأئمتها وعن إمام السنة أبي عبد الله أحمد بن مُحَمَّد بن حنبل قدّس اللهُ روحه التشديد في هجرهم وإهمالهم وترك جدالهم واطّراح كلامهم والتباعد عنهم حسب الإمكان والتقرب إلى الله بمقتِهم وذمِّهم وعيبِهم). فلا تغتر بمن يخالف أئمة السلف في هذا الباب ويحرف آثارهم ويهون هذا الأصل وإذا رأيت الرجل يوادُّ أهل البدع ويثني عليهم ويعتذر عنهم فلا تقتدي به وإن عظمت شهرته وكثر أتباعه لأنه مخالف لطريق أئمة السنة ويغرر بالعامة فيحسنون الظن بهم ويأخذون الدين عنهم ، ومجانبة المبتدعة من الفوارق العظيمة بين أهل السنة وأهل البدعة. ومن الكتب المهمة في بيان أصول السنة ومجانبة طريق البدعة كتاب شرح السنة للبربهاري الحنبلي.

النصيحة السادسة عشر: إيَّاك والتَحزُّب

لا تتحزبْ لشيخٍ أو طريقةٍ أو مذهبٍ أو جماعةٍ محدثةٍ وتعتقد فيهم العصمةَ والنجاةَ وتعقد الولاء والبراء على محبتهم ونصرتهم فإن هذا أصل محدث مخالف للكتاب والسنة وأئمة السلف الصالح إنَّما التحزب للحق الوارد في الكتاب والسنة ولا تقصر النصرة والمحبة والولاء على طائفة معينة دون غيرها قال تعالى في ذم التحزب للباطل: (إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ). وقال تعالى: (وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ). وقال رسول الله ﷺ: (لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذِبه ولا يحقره). رواه مسلم. واجعل النصرة والمحبة والولاية لجميع المؤمنين قال تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ). فتولَ المؤمن وأحبه بحسب ما قام فيه من الإيمان واتباع السنة والاستقامة على شرع الله وأبغضه وتبرأ منه بحسب ما قام فيه من المعاصي والبدعة والانحراف عن شرع الله. فكن مع طائفة أهل الحديث المتبعين للسنة ولا يضرك من خذلك أو خالفك مهما كان قال رسول الله ﷺ: (لا يزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس). متفق عليه. فأهل السنة يدورون مع الحق حيث كان ولا يتعصبون لشيخ يعقدون عليه الولاء والبراء ولا يعتقدون العصمة في شخص معين غير الرسول ﷺ ويقبلون النصح والإنكار نصرة للسنة وصيانة للدين من البدع قال الأوزاعي: (اصبرْ نفسك على السنة وقفْ حيث وقفَ القوم وقلْ بما قالوا وكف عما كفوا عنه واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك ما وسعهم). وبعض

المنتسبين للسلف الصالح في زماننا يتحزبون فيتعصبون لشيخ أو جماعة ويمتحنون الناس في محبته وموافقته ويعتقدون أن طاعته في المسائل الاجتهادية فرض ويحصرون الحق والسنة في مذهبه وهذا المنهج مخالف لطريقة أئمة السنة ولم يكن عليه أهل الحديث قال ابن تيمية: (وليس لأحد أنْ ينصب للأمة شخصا يدعوا إلى طريقته ويوالي ويعادي عليها غير النبي ﷺ ولا ينصب لهم كلاما يوالي عليه ويعادي عليه غير كلام الله ورسوله وما اجتمعت عليه الأمة بل هذا من فعل أهل البدع الذين ينصبون لهم شخصا أو كلاما يفرقون به بين الأمة يوالون على ذلك الكلام أو تلك النسبة أو يعادون عليه). وقال شيخنا مُحَمَّد ابن عثيمين: (ولا شك أن الواجب على جميع المسلمين أن يكون مذهبهم مذهب السلف لا الانتماء إلى حزب معين يسمى السلفيين الواجب أن تكون الأمة الاسلامية مذهبها مذهب السلف الصالح لا التحزب إلى من يسمى السلفيون انتبهوا للفرق !! هناك طريق السلف وهناك حزب يسمى السلفيون والمطلوب ايش ؟ اتباع السلف). والتحزب للبدعة من شعار أهل البدع قال ابن تيمية: (شعار أهل البدع إحداث قولٍ أو فعلٍ وإلزام الناس به وإكراههم عليه والموالاة عليه والمعاداة على تركه كما ابتدعت الخوارج رأيَها وألزمت الناس به ووالت عليه وعادت عليه وابتدعت الرافضة رأيها وألزمت الناس به ووالت عليه وعادت عليه). وكل من دعاك إلى علمٍ أو عملٍ أو دعوةٍ أو جهادٍ فتبين أمره واعرض قوله ودعوته على الكتاب والسنة وفهم أئمة السنة ولا تغتر بحسن بيانه وشهرته وكثرة دعاويه فإن وافق السنة فتعاون معه في الخير وإن خالف السنة فأعرض عنه ولا تلقِ له بالاً. واعلمْ أنه لا بيعةَ ولا طاعةَ لأحد على أحد مطلقا في باب الدعوة والاحتساب وإنما هو تناصح وتعاون وتطاوع كما قال النبي ﷺ لأبي موسى ومعاذ لما بعثهما إلى اليمن: (يسِّرا ولا تعسِّرا وبشِّرا ولا تنفِّرا). وفي رواية: (وتطاوعا ولا تختلفا). متفق عليه. وإنما البيعة والطاعة العامة تكون للإمام الشرعي

والطاعة الخاصة تكون للوالد وأما إلزام الجماعات الدعوية لأتباعها بالطاعة والامتثال فطريقة محدثة ليس لها أصل في السنة وسواء كانت بيعتهم لفظيةً بالقول أو ضمنيةً بلسان الحال ولذلك من يعترض عليهم يطردونه من الجماعة ويقدحون في دينه وإن كان مستقلا مخالفا لهم أشاعوا عيوبه ونفروا الناس عنه وهذا من انحرافهم في باب الولاء والبراء. فاحرص على اتباع الكتاب والسنة والاقتداء بأئمة السنة ولا تقلد الرجال وتتحزب لهم قال ابن القيم: (لا يقلدنَّ أحدكم دينه أحداً إن آمن آمن وإن كفر كفر إن كنتم لا بد مقتدين فاقتدوا بالميت فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة).

النصيحة السابعة عشر: المخرج من الفتن

أخبر النبي ﷺ بوقوع الفتن وكثرتها في آخر الزمان بقوله: (بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافرا ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا). رواه مسلم. وقال النبي ﷺ: (تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن). وره مسلم. والفتن قد تكون من الشهوات التي تصد المؤمن عن طاعة ربه أو توقع في قلبه مرضَ حبِّ الشهوة فيقصر في العمل وقد تكون من الشبهات التي تحرف المؤمن عن دينه أو توقع في قلبه الشك والشبهة فيقع في البدعة. ومن الفتن فتنة المال وفتنة النساء وفتنة حب الرئاسة ومن أعظم الفتن الاقتتال واستباحة الدماء ومن أعظم الفتن على دين المؤمن الافتتان بالرأي الفاسد وعلم الكلام الذي يصد عن معرفة الحق الوارد في الكتاب والسنة واتباعه ويوجب الإعراض عنه والطعن فيه. والفتنة إذا ساسها السفهاء عجز عن إخمادها العلماء قال ابن تيمية: (والفتنة إذا وقعت عجز العقلاء عن دفع السفهاء فصار الأكابر ﷺ عاجزين عن إطفاء الفتنة وكف أهلها وهذا شأن الفتن كما قال تعالى: (وَاتَّقُوا فِتنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُم خَآصَّةً وَاعلَمُوا أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ العِقَابِ). وإذا وقعت الفتنة لم يسلم من التلوث بها إلا من عصمه الله). واعلم أن أعظم ما يوقع المرء في الفتن الخاصة والعامة اتباع الهوى قال تعالى: (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ). قال عبد الله بن عون: (إذا غلب الهوى على القلب استحسن الرجل ما كان يستقبحه). ومن أعظم أسباب الوقوع في الفتن ترك التفقه في الدين وصحبة أهل الفتن والزهد في اتباع الأكابر والأخذ عن الأصاغر وضعف الإخلاص وإهمال السنن الربانية والانكباب على الدنيا والغفلة عن ذكر الله. واعلم أن من أعظم سبل الوقاية من الفتن الاعتصام بكتاب الله وسنة النبي ﷺ قال تعالى: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ

آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا). والهرب من مواطن الفتن كما قال تعالى: (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً). وقال ﷺ: (يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن). رواه البخاري. ويسن كثرة الاشتغال بالعبادة وقت اشتداد الفتن كما أرشد لذلك الرسول ﷺ بقوله: (العبادة في الهرج كهجرة إليَّ). رواه مسلم. وفي لزوم جماعة المسلمين وإمامهم مخرج من الفتن كما ورد في حديث حذيفة ﷺ. ومن أعظم سبل الوقاية من الفتن ترك الدخول فيها وعدم التفاعل معها وعدم الاستشراف لها كما أوصى بذلك النبي ﷺ بذلك بقوله: (ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي من تشرف إليها تستشرفه ومن وجد فيها ملجأ أو معاذا فليعذ به). رواه مسلم. وهذا هو منهج السلف الصالح قال أحمد بن حنبل: (والإمساك فى الفتنة سنة ماضية واجب لزومها فإن ابتليت فقدم نفسك دون دينك ولا تعنْ على فتنةٍ بيدٍ ولا لسانٍ ولكن اكفف يدك ولسانك وهواك والله المعين). فعليك في قتال الفتنة بلزوم منهج فقهاء الصحابة عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وسعد بن أبي وقاص وسلمة بن الأكوع وأبي بكرة الثقفي وعمران بن حصين ﷺ في اعتزالهم الفتنة وعدم المشاركة فيها أتى رجلان عبد الله بن عمر ﷺ في فتنة ابن الزبير فقالا: (إن الناس صنعوا وأنت ابن عمر وصاحب النبي ﷺ فما يمنعك أن تخرج ؟ فقال: يمنعني أن الله حرم دم أخي. فقالا: ألم يقل الله: (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ). ؟ فقال: قاتلنا حتى لم تكن فتنة وكان الدين لله وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة ويكون الدين لغير الله). ومن شارك في الثورات والمظاهرات والاعتصامات فقد خاض في الفتنة قال شيخنا صالح الفوزان: (هناك من السفهاء ومن المتسمين بطلب العلم من يشجعون

على هذه الثورات ويحرضون عليها وينفخون فيها يريدون بذلك تفريق المسلمين والقضاء على قوتهم وقد يكونون مغفلين لا يدركون العواقب ولا ينظرون في الأدلة فهؤلاء يجب الحذر منهم فإنهم دعاة ضلال ودعاة فتنة يجب الحذر منهم وألَّا يقبل كلامهم لأنه ضرر على الإسلام والمسلمين). ومن أسباب الوقاية من الفتن الصبر على ظلم السلطان واحتساب الأجر من الله قال الزبير بن عدي: أتينا أنس بن مالك فشكونا إليه ما نلقى من الحجاج فقال: (اصبروا فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم سمعته من نبيكم). أخرجه البخاري. ومن ترك الشرع أو ترك الصبر وقع في الفتنة قال ابن تيمية: (ولا تقع الفتنة إلا من ترك ما أمر الله به فهو سبحانه أمر بالحق وأمر بالصبر فالفتنة إما بترك الحق وإما من ترك الصبر). ومن الأسباب الواقية المهمة التي أهملها كثير من الشباب وقت اشتباه الفتن الرجوع إلى العلماء الربانيين قال تعالى: (وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا). ولما اتهم الشباب العلماء وطعنوا في دينهم وأعرضوا عن قولهم وحكمتهم واستجابوا لطيشهم وقعوا في فتنة التكفير والتفجير وقتل الأبرياء والانتكاسة عن الدين وتشويه الإسلام وتأخير الدعوة وذلِّ الأخيار وتسلُّط الفجَّار قال ابن تيمية: (فلما قتل (عثمان) رضي الله عنه تفرقت القلوب وعظمت الكروب وظهرت الأشرار وذل الأخيار وسعى في الفتنة من كان عاجزاً عنها وعجز عن الخير والصلاح من كان يحب إقامته). وكل هذا البلاء نشأ في حاضنة الجماعات السياسية التي تتهم العلماء بعدم فقه الواقع ومحاباة الحكام والمداهنة في الباطل. ومما يقي المؤمن من الفتن تعظيم حرمة الدماء وعدم الاستخفاف بها فكن على حذر شديد من التهاون بها فإن أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء كما ثبت في الصحيحين. ومن الأسباب العاصمة من الفتن التسلح

بالعلم الشرعي المؤصل فإنه نور يكشف ظلمة الفتنة ويزيل عنها الشبهة ويردها للحق الواضح في الكتاب والسنة وكلما خفي العلم ظهرت الفتن قال رسول الله ﷺ : (يتقارب الزمان ويقبض العلم وتظهر الفتن ويلقى الشح ويكثر الهرج). قالوا: وما الهرج يا رسول الله ؟ قال: (القتل). رواه مسلم. فاحرص أخي على الفرار من الفتن وعدم المشاركة فيها بوجه من الوجوه وآثر طريق السلامة من الفتن وسلوك طريقة العلماء الراسخين المتبعين لمذهب السلف الصالح قال ابن تيمية: (ومن استقرأ أحوال الفتن التى تجرى بين المسلمين تبين له أن مادخل فيها أحد فحمد عاقبة دخوله لما يحصل من الضرر فى دينه ودنياه ولهذا كانت من باب المنهى عنه والإمساك عنها من المأمور به). وإذا رأيت الرجل يستسهل الفتن ويتصدر لها ويزهد في أمر السلامة منها فاعلم أنه مفتون لم يفقه جادة السلف الصالح في باب الفتن. وعليك بدراسة كتاب الفتن في صحيح البخاري وصحيح مسلم فقد جمعا أصول الأحاديث الواردة في الفتن.

النصيحة الثامنة عشر: إيَّاك والغلو في التبديع

عليك باتباع منهج العلماء الراسخين في باب التبديع فالزمْ الطريق الوسط ولا تكنْ مغاليا فيه ولا مفرطا فيه وقد نهى النبي ﷺ عن الغلو فقال: (هلك المتنطِّعون. قالها ثلاثا). رواه مسلم. وقد أمر الله بالعدل ونهى عن البغي قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ). والأصل في المسلمين السلامة من البدعة فلا تبدِّع أحداً من غير حجَّةٍ وبيِّنةٍ ولا تحكم على إخوانك بالظن والقرائن والدخول في النيات فقد نهى الله عن ذلك بقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ). ومن أظهر البدعة ودعا إليها وتعصب لها فهو مبتدعٌ كالخارجي والمرجئ والرافضي والمعتزلي والأشعري والماتريدي والصوفي والإخواني والتبليغي والديوبندي ونحوهم قيل لأبي بكر بن عياش: (من السني ؟ قال: الذي إذا ذكرت الأهواء لم يتعصب لشيء منها). وسئل ابن تيمية: (ما حد البدعة التي يعد بها الرجل من أهل الأهواء ؟ فأجاب: البدعة التي يعد بها الرجل من أهل الأهواء ما اشتهر عند أهل العلم بالسنة مخالفتها للكتاب والسنة كبدعة الخوارج والروافض والقدرية والمرجئة). وسئل شيخنا ابن باز: هل كل من يفعل البدعة يسمى مبتدعا ومتى تطلق كلمة مبتدع على الشخص ؟ فأجاب: (الأصل أن من فعل بدعة يقال له مبتدع هذا هو الأصل من فعل بدعة يقال له مبتدع لكن إذا كان جاهلا يُعلَّمْ ومتى تاب لا يسمى مبتدعا وإذا أصر يسمى مبتدعاً على حسب بدعته. فالذي يصر على الاحتفال بالمولد أو بالموالد الأخرى يسمى مبتدعاً حتى يتوب والذي يصر على البناء على القبور والصلاة عند القبور أو بناء المساجد عليها أو قراءة الكتب عليها يسمى مبتدعاً وهكذا من فعل البدعة التي حرمها الله يسمى مبتدعاً يقول النبي ﷺ: (إياكم ومحدثات الأمور

فإن كل بدعة ضلالة). ويقول عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح في خطبة الجمعة: (أما بعد فإن خير الحديث كلام الله وخير الهدي هدي مُحَمَّد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة). ويقول ﷺ: (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد). فالمسلم يمتثل أمر الرسول ﷺ ويؤيد ما فعله عليه الصلاة والسلام ويحذر من البدع ويسمى أهلها مبتدعين حتى يتوبوا إلى الله والجاهل يُعلَّم ومن تاب تاب الله عليه). والتماس العذر إنما يكون للجاهل الذي نشأ بعيدا عن أهل العلم ولا يتمكن من الوصول إلى الحق ولم يظهر عليه علامة الإعراض وخفيت عليه البدعة وكذلك لمن عرف بلزوم طريق أهل السنة وتعظيم الآثار وتحرِّي الحق ثم زلَّت قدمه ببدعة خفية لشبهة تمكنَّت منه أما من أعرض عن اتباع الحق لجهله أو هواه وقصر في طلب السنة وتلبس ببدعة ظاهرة أو كان معروفا بالتزام أصول أهل البدع (أهل الكلام) في فهم النصوص وتقرير المسائل معرضا عن اتباع السنة وجادة السلف فليس محلا للعذر وهذا هو المشهور في تصرف أئمة السلف مع المبتدعة فقد كانوا لا يتوقفون في وصف الرجل بالبدعة إذا تلبس ببدعة وخالف أصلا من أصول السنة أو انحاز لطائفة من أهل البدع وألف صحبتهم وأظهر موافقتهم ولما بلغ عبدَ الله بن عمر رضي الله عنه قول القدرية في البصرة لم يتوقف في تبديعهم والبراءة منهم قال يحي بن يعمر: (أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن ويتقفرون العلم وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف. قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني برئ منهم وأنهم برآء مني). ولما قدم سفيان الثوري البصرة جعل ينظر إلى أمر الربيع (يعني ابن صبيح) وقدره عند الناس سأل أي شيء مذهبه ؟ قالوا: ما مذهبه إلا السنة. قال: من بطانته ؟ قالوا: أهل القدر. قال: هو قدري). وقال ابن المبارك: (من خفيت علينا بدعته لم تخف علينا ألفته). وقال عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل: (سمعت أبي يسأل عمن وقف ؟ قال أبي: من كان يخاصم

ويعرف بالكلام فهو جهمي ومن لم يعرف بالكلام يجانب حتى يرجع ومن لم يكن له علم يسأل ويتعلم). وقال الرازيان في عقيدتهما: (ومن شك في كلام الله عز وجل فوقف شاكا فيه يقول: لا أدري مخلوق أو غير مخلوق فهو جهمي ومن وقف في القرآن جاهلا عُلِّمَ وبُدِّعَ ولم يكفر). وسئل شيخنا ابن باز: الذي يثني على أهل البدع ويمدحهم هل يلحق بهم ؟ فأجاب: نعم ما فيه شك من أثنى عليهم ومدحهم هو داعٍ لهم يدعوا لهم هذا من دعاتهم نسأل الله العافية). وسئل الشيخ صالح اللحيدان: طالب علم يجالس أهل السنة وأهل البدع ويقول: كفى الأمة تفريقا وأنا أجالس الجميع ؟ فأجاب: هذا مبتدع من لم يفرق بين الحق والباطل ويدعي أن هذا لجمع الكلمة فهذا هو الابتداع نسأل الله أن يهديه). وقد رأيت كثيرا من متأخري أهل البدع يعرفون مذهب السلف ويحكونه ويصوبون مذهب الخلف ويصفون أتباع السلف بأوصاف قبيحة وينفرون من اتباعهم. وأكثر الانحراف عن السنة سببه إما سوء القصد في ترك اتباع الحق والانقياد له أو إيثار الجهل في التفريط في طلب الحق أو اتباع الهوى في الغلو في الدين فالمبتدعة إما عالمون معاندون كالرافضة والجهمية أو جهلة مفرطون كمقلدة الصوفية أو مغالون كالخوارج. والمبتدع يعبد الله على غير بصيرة وحجة وحسن القصد لا ينافي الابتداع في الدين ولما ابتدع قوم في جامع الكوفة واجتمعوا على عبادة محدثة أنكر عليهم عبد الله بن مسعود ﷺ ووصفهم بالبدعة لمخالفتهم للسنة ولم يلتفت لحسن قصدهم وإرادتهم الخير فقال: (والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة مُحَّد أو مفتتحو باب ضلالة). وكل من خالف السنة في مسألة متفق عليها بين أئمة السنة فليس من أهل السنة كما قال علي ابن المديني: (السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقلها أو يؤمن بها لم يكن من أهلها). وقال أحمد بن حنبل: (وليس في السنة قياس ولا تضرب لها الأمثال ولا تدرك بالعقول ولا الأهواء إنما هو الإتباع وترك الهوى ومن السنة اللازمة التي

من ترك منها خصلة لم يقبلها ويؤمن بها لم يكن من أهلها). وقال حرب الكرماني بعد بيانه لعقائد أئمة السنة المتفقين عليها: (فمن خالف شيئا من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها فهو مخالف مبتدع خارج عن الجماعة زائل عن منهج السنة وسبيل الحق). وقال أبو نصر السجزي: (فكل مدع للسنة يجب أن يطالب بالنقل الصحيح بما يقوله فإن أتى بذلك عُلم صدقه وقُبل قوله وإن لم يتمكن من نقل ما يقوله عن السلف عُلم أنه محدث زائغ وأنه لا يستحق أن يصغا إليه أو يناظر في قوله). وسواء كانت بدعته مكفرة أو غير مكفرة اعتقادية أو عملية قديمة أو حديثة كمن يرخص في بناء المشاهد على القبور والتبرك بأصحابها وعبادتهم من دون الله أو يتوسل إلى الله بجاه الأنبياء والأولياء أو يقول بعقيدة وحدة الوجود أو يعتقد في معين العصمة وعلم الغيب أو يعطل صفات الله عز وجل أو يكذب بالقدر أو يذهب مذهب المرجئة في إخراج العمل من حقيقة الإيمان أو يرى الخروج على أئمة الجور أو يكفر المسلمين بذنب ليس بمكفر أو يطعن في عدالة الصحابة ويتبرأ منهم أو يحدث وردا أو عملا لم يرد في الشرع أو يحتفل بالمولد النبوي وغيره من الأعياد المحدثة أو يشكك في الأحاديث الصحيحة أو يفسر القرآن بالعقل أو يعتمد في معرفة الحق على المنامات والخرافات أو يجمع أهل البدع ويصحح مذاهبهم أو ينكر أصلا مجمعا عليه أو يتدين بالسكوت عن مظاهر الشرك والبدع بحجة التأليف بين المسلمين أو يتحزب لجماعة يعقد عليها الولاء والطاعة وهلم جرا. ومن أخرج سنيا من عباءة أهل السنة وعامله معاملة المبتدعة وهو معروف بصحة الاعتقاد وتعظيم الآثار واتباع السنة في مسألة اجتهادية أو مسألة مخالفة لطريقة شيخه أو منهجه الخاص الذي قعده أو في قول زلَّ فيه فقد سلك مسلك الغلاة في هذا الباب قال أحمد بن حنبل: (إخراج الناس من السنة شديد). ومن أحدث قاعدة ليس لها أصل في نصوص الكتاب والسنة ولا تعرف عن الصحابة ﷺ ولم يجمع عليها أئمة السنة

وحاكم الناس إليها وبدعهم على مقتضاها فقد غلا في هذا الباب. ومن مسالك الغلو في هذا الباب تبديع المخالف في مسائل الاجتهاد التي تنازع فيها الفقهاء قال أبو المظفر السمعاني: (فكل مسألة حدثت في الإسلام فخاض فيها الناس فتفرقوا واختلفوا فلم يورث ذلك الاختلاف بينهم عداوة ولا بغضا ولا تفرقا وبقيت بينهم الألفة والنصيحة والمودة والرحمة والشفقة علمنا أن ذلك من مسائل الإسلام يحل النظر فيها والأخذ بقول من تلك الأقوال لا يوجب تبديعا ولا تكفيرا كما ظهر مثل هذا الاختلاف بين الصحابة والتابعين مع بقاء الألفة والمودة). وقال ابن تيمية: (مسائل الاجتهاد من عمل فيها بقول بعض العلماء لم ينكر عليه ولم يهجر ومن عمل بأحد القولين لم ينكر عليه). وقال ابن القيم في مسألة القنوت بعد ترجيح مذهب أهل الحديث: (ومع هذا فلا ينكرون على من داوم عليه ولا يكرهون فعله ولا يرونه بدعة ولا فاعله مخالفا للسنة كما لا ينكرون على من أنكره عند النوازل ولا يرون تركه بدعة ولا تاركه مخالفا للسنة بل من قنت فقد أحسن ومن تركه فقد أحسن). فالتبديع والتهاجر والفرقة على مسائل الاجتهاد من طريقة أهل البدع وليس من طريقة أهل السنة. فلا تكن طعّاناً همّازاً لإخوانك من أهل السنة وعليك بالورع الذي يمنعك من الوقوع في أعراض المتبعين للسنة وتبديعهم بغير حق ولا تنصب نفسك إماما في الناس تمتحنهم في المسائل الاجتهادية والمواقف العملية واطلب السلامة واترك الخوض في هذه المسائل الكبار للعلماء الراسخين المتقنين لأصول السنة العارفين بأقوال الناس وأحوالهم. واعلم أن الاختلاف في تبديع شخص معين في كلامه وموقفه اشتباه لا يستلزم تبديع من يخالفك في الحكم عليه عند أئمة السنة أما الرد عليه وتخطئته وبيان زلته فباب واسع عند أهل العلم قال ابن تيمية: (فالواجب الاقتصاد في ذلك والإعراض عن ذكر يزيد بن معاوية وامتحان المسلمين به فإن هذا من البدع المخالفة لأهل السنة والجماعة). والغلو في التبديع ينفر

الناس عن اتباع السلف الصالح ويشمت أهل البدع بأهل السنة ويفرح أعدائهم ويوقعهم في التفرق والتشرذم والتحزب كما هو واقع في هذا الزمان والله المستعان. ومن البلاء أن يعتقد المرء أن مذهب أهل السنة مختزل في الكلام في أهل البدع وحكاية مقالاتهم ورد أباطيلهم فيشغل نفسه ويشغل أصحابه بذلك طيلة الوقت ويعرض عن مهمات الدين. واعلم أن الأصل في مذهب السلف ترك الخصومات في الدين والإعراض عن مناظرة أهل البدع ومجادلتهم إلا إذا اقتضت المصلحة ذلك قال عبد الرحمن بن أبي الزناد: (أدركنا أهل الفضل والفقه من خيار أولية الناس يعيبون أهل الجدل والتنقيب والأخذ بالرأي أشد العيب وينهوننا عن لقائهم ومجالستهم وحذرونا مقاربتهم أشد التحذير). وقال عبد الرحمن بن مهدي: (أدركنا الناس وهم على الجملة يعني لا يتكلمون لا يخاصمون). وقال أحمد بن حنبل في بيان مذهب السلف: (وترك الخصومات والجلوس مع أصحاب الأهواء وترك المراء والجدال والخصومات في الدين). وليكن نصيحتك وردك على المخالفين للسنة بإخلاص نية ابتغاء نصرة دين الله وقصدا لهداية من ضل من أمة مُحَمَّد وليس انتقاما لشخصك أو انتصارا لحزبك وليس على سبيل الحسد والتشفي وليكن كلامك على المخالف بعلم ولزوم العدل قال تعالى: (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ). واتبع في حكمك على المخالفين منهج الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ بقوله: (إنَّ أناساً كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ وإن الوحي قد انقطع وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم فمن أظهر لنا خيرا أمناه وقربناه وليس إلينا من سريرته شيء الله يحاسبه في سريرته ومن أظهر لنا سوءا لم نأمنه ولم نصدقه وإن قال إن سريرته حسنة). رواه البخاري. فلا تنسب مذهبا لأحد إلا بما أظهره علانية لتكون لك حجة يوم القيامة وتكون على بصيرة في دينك ولا تعتمد على الأخبار والشائعات فاعمل بالظاهر ولا تلتفت إلى السرائر ولا تداهن أحدا بالباطل

وعليك بالتثبُّت قال سفيان بن عيينة لصدقة بن يسار: (بلغني أنك من الخوارج ؟ قال: كنت منهم فعافاني الله منه). فمن ثبتت بدعته وإعراضه عن السنة ومخالفته لأئمة السنة فلا تحسن به الظن. وقال عباد بن عباد الخواص يوصي إخوانه : (ولا تكتفوا من السنة بانتحالها بالقول دون العمل بها فإن انتحال السنة دون العمل بها كذب بالقول مع إضاعة العلم. ولا تعيبوا بالبدع تزينا بعيبها فإن فساد أهل البدع ليس بزائد في صلاحكم ولا تعيبوها بغيا على أهلها فإن البغي من فساد أنفسكم. وليس ينبغي للطبيب أن يداوي المرضى بما يبرئهم ويمرضه فإنه إذا مرض اشتغل بمرضه عن مداواتهم ولكن ينبغي أن يلتمس لنفسه الصحة ليقوى به على علاج المرضى فليكن أمركم فيما تنكرون على إخوانكم نظرا منكم لأنفسكم ونصيحة منكم لربكم وشفقة منكم على إخوانكم وأن تكونوا مع ذلك بعيوب أنفسكم أعنى منكم بعيوب غيركم وأن يستفطم بعضكم بعضا النصيحة وأن يحظى عندكم من بذلها لكم وقبلها منكم وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: رحم الله من أهدى إلي عيوبي. تحبون أن تقولوا فيحتمل لكم وإن قيل لكم مثل الذي قلتم غضبتم تجدون على الناس فيما تنكرون من أمورهم وتأتون مثل ذلك أفلا تحبون أن يؤخذ عليكم ؟). وتذكر أن كثرة الخوض في هذه المسائل بلا مصلحة والتعرض لأعراض المسلمين بغير حق يمرض قلبك ويذهب عنك الخشوع ويصرفك عن التفقه في الدين ويعرضك للعقوبة فلا تصحب أهل الخصومات ولا تضيع شبابك وعلمك في هذه المشاغبات فاحرص على نشر السنن وبيان عقائد أهل الحديث والاشتغال بما ينفعك في دينك ودنياك. وفي المقابل لا تسلك مسلك المفرطين المتساهلين في التبديع فتصحح مذاهب أهل البدع وتتأول لدعاتهم وتثني عليهم وتسكت عن بيان انحرافهم وتتحالف معهم كحال دعاة الإخوان الموالين للشيعة والصوفية والخوارج. فلا تكن في هذا الباب من أهل الغلو ولا تكن من أهل التقصير قال ابن تيمية: (قد يبغى

بعض المستنة إما على بعضهم وإما على نوعٍ من المبتدعة بزيادة على ما أمر الله به وهو الإسراف المذكور فى قولهم: (رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا). وبإزاء هذا العدوان تقصير آخرين فيما أمروا به من الحق أو فيما أمروا به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فى هذه الأمور كلها فما أحسن ما قال بعض السلف: ما أمر الله بأمر إلاّ اعترض الشيطان فيه بأمرين لا يبالي بأيِّهما ظفر غلو أو تقصير). أما إذا اقتضت المصلحة في الكلام والنصيحة لمخدوعٍ أو مغرر بأهل البدع فاستعن بالله وأخلص النية وبين له الحق والسنة ولا تأخذك في الله لومة لائم.

النصيحة التاسعة عشر: إياك ومسلك الخوارج

اسلكْ طريق أهل السنة في تعظيم حرمة المسلمين في دمائهم وأموالهم وأعراضهم ولا تسلكْ مسلك الخوارج المارقين في تكفير المسلمين واستباحة دمائهم وقد ورد ذم الخوارج في السنة الصحيحة ووصفهم بالغلو وقلة الفهم للشرع والطيش وبيان خطرهم على أهل الإسلام ومشروعية قتالهم قال رسول الله ﷺ: (إن من ضئضئ هذا أو في عقب هذا قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان لئن أنا أدركتهم لأقتلنَّهم قتل عاد). متفق عليه. وفي رواية: (يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم). وفي الصحيحين قال علي بن أبي طالب ﷺ سمعت رسول الله ﷺ يقول: (سيخرج قوم في آخر الزمان أحداث الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية لا يجاوز إيمانهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة). وقال البخاري في صحيحه: (وكان ابن عمر يراهم شرار خلق الله وقال: إنَّهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين). وقد عظم الشرع حرمة دماء المسلمين كما قال تعالى: (وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا). وقال رسول الله ﷺ: (لن يزالَ المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصبْ دماً حراماً). رواه البخاري. والأصل في أهل الإسلام بقاؤهم على الإسلام وسلامتهم من الكفر فعظم حرمتهم ولا تكفر أحداً من غير حجة وبرهان لا يختلف فيه أهل الإيمان قال رسول الله ﷺ: (من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله فلا تخفروا الله في ذمته). رواه البخاري. وقال ابن عبد البر: (وقد اتفق أهل السنة والجماعة وهم أهل الفقه والأثر

على أن أحدا لا يخرجه ذنبه وإن عظم من الإسلام وخالفهم أهل البدع فالواجب في النظر أن لا يُكفَّر إلا من اتفق الجميع على تكفيره أو قام على تكفيره دليل لا مدفع له من كتاب أو سنة). فلا يحل تكفير المسلم بوقوعه في الغلط والمخالفة إلا إذا ارتكب مكفراً فإن كان مما يخفى فيه معرفة الحق عادةً أقيمت عليه الحجة وكشفت عنه الشبهة قال ابن تيمية: (وليس لأحد أن يكفر أحدا من المسلمين وان أخطأ وغلط حتى تقامَ عليه الحجة وتبيَّن له المحجة ومن ثبت إسلامه بيقين لم يزلْ ذلك عنه بالشك بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة). وإن كان مكفرا في أمر ظاهر لا يخفى عادة بين المسلمين فليس له عذر ولا تقام عليه الحجة سئل شيخنا ابن باز عن رجل مات بين المسلمين على الشرك ولم يكن يعرف خطورة الشرك فأفتى بأنه مات على الشرك الأكبر المخرج من الملة وقال: (لأنه مات على غير الإسلام ما دام بين المسلمين قد سمع القرآن ورأى المسلمين ورأى أعمالهم هذا غير معذور قد قامت عليه الحجة لأن الله يقول سبحانه: (وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ). من بلغه القرآن فقد قامت عليه الحجة قال الله سبحانه: (هَذَا بَلاَغٌ لِّلنَّاسِ). ولأنه معرضٌ ما تعلَّمَ ولا سألَ وأمره إلى الله لكن هذا حكمه في الدنيا مثل عامة كفار قريشٍ الذين قتلوا في يوم بدر وفي غيره أو ماتوا في مكة ، عامة كفار اليوم عامة كفار النصارى كفار اليهود كلهم جهال لكن لما رضوا بما هم عليه ولم ينقادوا لما بعث الله به مُحمَّداً ﷺ ولم يلتفتوا إليه صاروا كفارا نسأل الله العافية والسلامة). واعلم أن مذهب الخوارج هو تكفير المسلمين بغير مكفِّرٍ والخروجُ عن جماعتِهم وعدمُ طاعةِ إمامِهم قال ابن تيمية: (وإذا عرف أصل البدع فأصل قول الخوارج أنهم يكفرون بالذنب ويعتقدون ذنبا ما ليس بذنب ويرون اتباع الكتاب دون السنة التي تخالف ظاهر الكتاب وإن كانت متواترة). فحقيقة مذهب الخوارج الغلو في تصنيف الذنب ثم الغلو في التعامل مع مرتكب هذا الذنب فهم أسرع الناس إلى تكفير

المخالف وتخوينه واستباحة دمه عند القدرة عليه قال ابن تيمية: (ويكفِّرون من خالفهم ويستحلّون منه لارتداده عندهم ما لا يستحلّونه من الكافر الأصلي كما قال النبي ﷺ فيهم: (يقتلون أهلَ الإسلامِ ويدعون أهلَ الأوثانِ). ولهذا كفروا عثمانَ وعلياً وشيعتَهما وكفَّروا أهلَ صفين الطائفتين في نحو ذلك من المقالات الخبيثة). واعلمْ أنَّ الخروج درجاتٌ وأن الخوارج مذهبان قوم يشهرون السلاح يرون وجوب القتال وقوم يخرجون بالكلام يحرضون المسلمين على الخروج على السلطان ولا يباشرون القتال بأنفسهم وهؤلاء مذهبهم أخبث لخفائه قال مُحَّد بن عبد الله الطرسوسي: (قَعَدُ الخوارجِ أخبث الخوارج). ومن أساليب الخوارج إظهار الطعن على الحكام والعلماء فوق المنابر وتهييج العامة على الخروج قال شيخنا ابن باز: (ليس من منهج السلف التشهير بعيوب الولاة وذكر ذلك على المنابر لأن ذلك يفضي إلى الفوضى وعدم السمع والطاعة في المعروف). قال أنس بن مالك:(كان الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ ينهوننا عن سب الأمراء) وقال عبد الله بن عُكيم مبينا أن الطعن في السلطان بالكلام يعد إعانة على الخروج عليه: (لا أعينُ على قتل خليفةٍ أبداً بعد عثمانَ فقيل له: يا أبا معبد أعنت على دمه ؟ قال: إني أعد ذكر مساوئه عوناً على دمه). وقال شيخنا صالح الفوزان: (الخروج على الإمام ليس مقصورا على حمل السلاح بل الكلام في حق ولي الأمر وسباب ولي الأمر هذا خروج عليه وتحريض عليه وسبب فتنةٍ وشرٍ فالكلام لايقلُّ خطورة عن السلاح). وقد ورد الوعيد في التهاون في تكفير المسلم بغير حق قال رسول الله ﷺ: (ومن دعا رجلا بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه). متفق عليه. واستمع لنصيحة التابعي وهب ابن منبه لأحد الخوارج: (ألا ترى يا ذا خولان إني قد أدركت صدرَ الإسلام فوالله ما كانت للخوارج جماعةٌ قطُّ إلا فرقها الله على شر حالاتهم وما أظهر أحد منهم قوله إلا ضرب الله عنقه وما اجتمعت الأمة على

رجل قطُّ من الخوارج ولو أمكن الله الخوارج من رأيهم لفسدت الأرض وقطعت السُبُل وقطع الحج عن بيت الله الحرام وإذن لعاد أمر الإسلام جاهلية حتى يعود الناس يستعينون برؤوس الجبال كما كانوا في الجاهلية وإذن لقام أكثر من عشرة أو عشرين رجلا ليس منهم رجل إلا وهو يدعو إلى نفسه بالخلافة ومع كل رجل منهم أكثر من عشرة آلاف يقاتل بعضهم بعضا ويشهد بعضهم على بعض بالكفر حتى يصبح الرجل المؤمن خائفا على نفسه ودينه ودمه وأهله وماله لا يدري أين يسلك أو مع من يكون غير أن الله بحكمه وعلمه ورحمته لهذه الأمة فأحسن النظر لهم فجمعهم وألَّف بين قلوبهم على رجلٍ واحدٍ ليس من الخوارج فحقن به دماؤهم وستر به عوراتهم وعورات ذراريهم وجمع به فرقتهم وأمن به سبلهم وقاتل به عن بيضة المسلمين عدوهم وأقام به حدودهم وأنصف به مظلومهم وجاهد به ظالمهم رحمة من الله رحمهم بها). ومن سمات الخوارج النشاط في الثورات والمشاركة في المظاهرات ومناكفة الحكام للوصول للسلطة وتعريض المسلمين للهلاك والإهانة وإشاعة الفوضى. واعلم أن الجهاد المشروع عند أهل السنة والجماعة هو ما كان موافقا لشرع الله وهدي رسوله ﷺ من وجود إذن الإمام الشرعي وتحت رايةٍ شرعيةٍ لا شبهة فيها وبرضا الوالدين قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾. وفي الصحيحين قول النبي ﷺ: (إنما الإمام جُنَّةٌ، يقاتل من ورائه، ويتقى به). وقال ابن قدامة: (وأمر الجهاد موكول إلى الإمام واجتهاده ويلزم الرعية طاعته فيما يراه من ذلك). وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: (جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فاستأذنه في الجهاد، فقال: أحي والداك، قال: نعم، قال: ففيهما فجاهد). متفق عليه. وقد ورد في الصحيح الوعيد على القتال تحت رايةٍ عمّيةٍ. أما القتال إذا كان بغير إذن الإمام وإذن الوالدين وتحت راية عمية فهو قتال فتنة على طريقة الخوارج المخالفين لجادة السلف الصالح فاحذر أن تقاتل معهم

وتكثر سوادهم ولا تغتر بحماستهم وشجاعتهم وبذلهم لأنها مبنية على اتباع الهوى والغلو والتعدي على حدود الله والجهل بالمعاني الشرعية والإعراض عن اتباع أهل العلم قال تعالى: (تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ). واعلمْ أنَّ الخوارجِ لهم مصيدتان يصطادون بهما العامة شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفريضة الجهاد فيغلون بالأمر والنهي حتى يسقطوا طاعة الحاكم ويغلون بالجهاد حتى يكفروا المسلمين ويستبيحوا دمائهم ويورطوا شباب المسلمين بالفتن كما هو الحال في زماننا فاعتزلْ الخوارجَ ولا تأخذ عنهم دينك ولا تُحسنْ بهم الظن وتفقَّهْ في مسائل التكفير بالعلماء الراسخين المعتدلين ولا تكثر التنقير والبحث في مسائل التكفير فتفتن واقصر همك وفهمك على العلوم النافعة من الكتاب والسنة واسألْ ربك العصمة من فتنة التكفير فإن السلامة لا يعدلها شيء فالمؤمن المتورع لا يتكلم إلا بما تظهر فيه المصلحة الراجحة ولا يعرض نفسه للعقوبة والمؤاخذة وشعاره قول النبي ﷺ: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيرًا أو ليصمت). متفق عليه.

النصيحة العشرون: فقه الخلاف

الاختلاف بين أهل الحق وأهل الباطل سنة ماضية قال تعالى: (وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ). قال الحسن البصري: (أما أهل الرحمة فإنهم لا يختلفون اختلافا يضرهم). وينبغي لك أن تكون فقيها في مسائل الخلاف على طريقة فقهاء أهل الحديث فتشدد في مسائل الأصول التي اتفق عليها أئمة السنة وتتساهل في مسائل الفروع التي اختلف فيها أئمة السنة اختلافا سائغا وتباينت مذاهبهم على حسب نظرهم إلى النصوص الشرعية وتكون وسطا في هذا الباب فلا تسلك مسلك المتشددين الذين يبدِّعون ويفسِّقون المخالف في المسائل الفقهية أو يلمزونه بقلة اتباع السنة وعدم سلفيته ولا تسلك مسلك المتساهلين الذين يقبلون الخلاف في مسائل الاعتقاد ويصوِّبون المخالف في الأصول ويحسنون به الظن. واعلم أن الخلاف في المسائل العملية قسمان قسم الخلاف فيه سائغ وله حظ من النظر وتحتمله الأدلة وهو الذي اختلف فيه فقهاء أهل الحديث وكانوا لا ينكرون على المخالف ولا يبطلون عبادته ولا يطعنون في استقامته واتباعه للسنة والإعذار في هذه المسائل منهج السلف الصالح قال سفيان الثوري: (ما اختلف فيه الفقهاء فلا أنهى أحدا من إخواني أن يأخذ به). وقال أحمد بن حنبل: (من أفتى الناس ليس ينبغي أن يحمل الناس على مذهبه ويشدد عليهم). وقال ابن تيمية: (مسائل الاجتهاد التي تنازع فيها السلف والأئمة فكل منهم أقر الآخر على اجتهاده من كان فيها أصاب الحق فله أجران ومن كان قد اجتهد فأخطأ فله أجر وخطؤه مغفور له فمن ترجح عنده تقليد الشافعي لم ينكر على من ترجح عنده تقليد مالك ومن ترجح عنده تقليد أحمد لم ينكر على من ترجح عنده تقليد الشافعي ونحو ذلك). وقسم الخلاف فيه شاذ وليس له حظ من النظر ولا تحتمله الأدلة وقد كان أئمة السنة ينكرون

هذا المسلك ويحذرون من اتباعه وينكرون الأقوال المخالفة للسنة وآثار الصحابة وهذا هو مسلك الظاهرية الذين يتبعون غرائب المسائل والأقوال الشاذة قال ابن عبد البر: (فما أرى هذا الظاهري إلا قد خرج عن جماعة العلماء من السلف والخلف وخالف جميع فرق الفقهاء وشذَّ عنهم ولا يكون إماماً في العلم من أخذ بالشاذِّ من العلم). والاختلاف في فهم النصوص وتنزيل الأصول على المسائل طريق سائغ عند أهل العلم قال رسول الله ﷺ: (إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر). متفق عليه. وقد اختلف أصحاب النبي ﷺ في فهم حديث النبي ﷺ: (لا يصلينَّ أحدكم العصرَ إلّا في بني قريظة). متفق عليه. وقبل منهم النبي ﷺ ذلك ولم يعنِّفهم. واعلم أن تعنيف المخالف في الخلاف السائغ وتبديعه أو تكفيره أو الطعن في مذهبه واتهامه بالتقليد والهوى مسلك مخالف لمنهج السلف الصالح قال ابن تيمية: (مسائل الاجتهاد من عمل فيها بقول بعض العلماء لم ينكر عليه ولم يهجر ومن عمل بأحد القولين لم ينكر عليه). أما مناقشته بالأدلة لبيان ضعف قوله فطريق مشهور عند أئمة السنة ليس بمذموم إنما المذموم عندهم التعصب لأقوال الرجال واتباع الأحاديث الواهية والإعراض عن الأحاديث الصحيحة ومخالفة إجماعات المتقدمين والتوسع في القياس وهذا مسلك أهل الرأي قال أحمد بن حنبل: (تركنا أصحاب الرأي وكان عندهم حديث كثير فلم نكتب عنهم لأنهم معاندون للحديث لا يفلح منهم أحد). وقال ابن القيم: (فإن الرأي رأيان رأى يوافق النصوص وتشهد له بالصحة والاعتبار وهو الذى اعتبره السلف وعملوا به ورأى يخالف النصوص وتشهد له بالإبطال والإهدار فهو الذى ذموه وأنكروه). وليس من الفقه إشاعة الخلاف وكثرة الكلام وامتحان الناس في المسائل اليسيرة مما يترتب عليه إيغار الصدور واختلاف الكلمة بين أهل الحديث قال ابن رجب: (ولما كثر اختلاف الناس فى مسائل الدين وكثر تفرقهم كثر بسبب ذلك تباغضهم

وتلاعنهم وكل منهم يظهر أنه يبغض لله وقد يكون فى نفس الأمر معذوراً وقد لايكون معذوراً بل يكون متبعاً لهواه مقصراً فى البحث عن معرفة مايبغض عليه). ومن قلة الفقه وضيق العطن أن يطعن الرجل في مذهب إمام معتبر من المتقدمين ويصنف متبعه بالتقليد وقلة العلم بالسنة الصحيحة ويقصر سبب الخلاف في المسائل الفقهية على صحة الحديث وضعفه. ومن أدب الخلاف أن يكون قصدك الوصول إلى الحق ونشر الفضيلة ولا يكون قصدك الانتصار لمذهبك قال الشافعي: (ما كلمت أحداً قطُّ إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان ويكون عليه رعاية من الله وحفظ وما كلمت أحداً قطُّ إلا ولم أبال بيّن الله الحق على لساني أو لسانه). فينبغي لك أن يتسع قلبك لسماع الخلاف وحسن الظن بالمخالف لمذهبك واحترام أهل الفضل وتقديرهم وليسعك ما وسع السلف الصالح في لزوم الأدب مع المخالف لهم من أهل السنة قال يونس الصدفي: (ما رأيت أعقل من الشافعي ناظرته يوماً في مسألة ثم افترقنا ولقيني فأخذ بيدي ثم قال: يا أبا موسى ألا يستقيم أن نكون إخواناً وإن لم نتفق في مسألة). وطالع في هذا الباب كتاب رفع الملام عن الأئمة الأعلام لابن تيمية. أما الخلاف في مسائل العقائد ومخالفة مذهب السلف الصالح فمذمومٌ ولا يرخص فيه لأحدٍ ويرد عليه ويبطل قوله فإن قبل الصواب وتبرّأ من بدعته وأظهر السنة حفظت حرمته وإن عاند ولم يقبل الحق حذر منه ونهي عن مجالسته والأخذ عنه والحق في هذه المسائل واحد لا يتعدد وقد اتفق أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على أصول اعتقاد أهل السنة ولم يتنازعوا في حرف منها وكان أئمة السنة يظهرون النكير على كل من خالف في مسائل الاعتقاد قال أبو حمزة: لما ظهرت المقالات بالكوفة أتيت إبراهيم (النخعي) فذكرت له ذلك فقال: (أوه رقفوا قولاً واخترعوا ديناً من قبل أنفسهم ليس من كتاب الله ولا من سنة رسوله لقد تركوا دين مُحَمَّد فإياك وإياهم). وقال مالك بن أنس: (إياكم والبدع قيل: يا أبا عبدالله ما البدع. قال:

أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة وتابعيهم). وقال أبو نصر أحمد بن مُحَّد بن خالد السجزي: سمعت أبي يقول: قلت لأبي العباس بن سريج: ما التوحيد ؟ فقال: (توحيد أهل العلم وجماعة المسلمين: أشهد أن لا إله إلا اللّه وأن مُحَّدا رسول الله وتوحيد أهل الباطل الخوض في الأعراض والأجسام وإنما بعث رسول الله ﷺ بإنكار ذلك). وأما التهوين في الخلاف في العقائد والسكوت عن المناوئين لأهل السنة وإظهار العذر لانحرافهم وضلالاتهم والتعاون معهم عملا بقاعدة: (نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه). فمنهج باطل أحدثه حسن البنا وهو مبني على قاعدة فاسدة مخالفة للكتاب والسنة وطريقة السلف قال تعالى: (فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ). ودلت السنة على أن من أحدث بدعة ردت عليه بدعته وإنكار الصحابة ﷺ على الخوارج وغلاة الشيعة والقدرية مشهور ولم يكن أئمة السلف يتسامحون مع أهل البدع ويعتذرون لمذهبهم بل كانوا ينكرون عليهم ويهجروهم ويحذرون منهم والعمل بهذه القاعدة المنكرة يفضي إلى انتشار الشرك والبدع وموالاة أهل الباطل وتصحيح مذاهبهم الفاسدة وفشو المنكرات سئل شيخنا صالح الفوزان بعض المدرسين الذين يدرسوننا في كليتنا يقولون: بأنه في كل فرقة من فرق المسلمين توجد إيجابيات ولو أن الطلبة أخذوا من كل فرقة هذه الإيجابيات لكان على خير ومثل بذلك أن قال بأن نأخذ بالدعوة إلى الله أسلوب التبليغ وبعض الأشياء الحسنة من الصوفية وما أشبه ذلك فهل تفصيله صحيح ؟

فأجاب: (أنتم تفهمون أن عندهم قاعدة يسمونها القاعدة الذهبية يقولون: (نجتمع على ما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه). هذا الكلام طالع من هذه القاعدة.

لا ما يجوز هذا ما يعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه بل نرد للدليل من كان معه الدليل فهو الحق وهو المصيب ومن كان مخالفا للدليل فهو المخطئ ولا نرضى عن الخطأ ولا

نداهن في دين الله عز وجل ما خالف الدليل فهو مردودٌ ما نأخذ إلا ما وافق الدليل عند أي أحدٍ الحق ضالة المؤمن أين وجده أخذه. أما إننا نقول: نصلح ونتسامح ونأخذ ما اتفقنا عليه والباقي يعذر بعضنا يعني اللي يدعوا غير الله نقول: يعذر بعضنا واللي يعبد القبور والأضرحة نقول: يعذر بعضنا بعضا وإيش اللي اتفقنا عليه إذا اتفقنا على اسم الإسلام فقط اسم الإسلام ما يكفي لازم من التحقيق. هذه قاعدة باطلة يسمونها القاعدة الذهبية مع الأسف يتبناها بعض الشباب أو بعض الحزبيين وهي قاعدة باطلة مصادمة للكتاب والسنة الله لم يقل يعذر بعضكم بعضا بل قال : (فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ). ما قال : يعذر بعضكم بعضا كل يبقى على ما هو عليه). فالتسامح مع المخالفين للسنة من طريقة أهل البدع الذين يميتون السنن ويحيون البدع.

النصيحة الحادية والعشرون: احذرْ دعاة التغريب

الأعداء من الداخل من أخطر الشرور على أهل الإسلام وعلى رأسهم دعاة التغريب قال تعالى: (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا). وقد حذر النبي ﷺ من فتنة هؤلاء قال حذيفة رضي الله عنه: (فهل بعد ذلك الخير من شر ؟. قال: نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها. قلت: يا رسول الله صفهم لنا. قال: هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا). متفق عليه. وهم يدعون النصيحة والإصلاح والتقدم في خطابهم وحقيقة مذهبهم إفساد الدين وإسقاط الشريعة وتشكيك المسلمين في ثوابتهم وطمس الفضيلة ونشر الرذيلة قال تعالى في بيان حالهم: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ). قال مجاهد: (إذا ركبوا معصية الله فقيل لهم: لا تفعلوا كذا وكذا. قالوا: إنما نحن على الهدى مصلحون). واعلم أنهم يتلوّنون في كلامهم ومواقفهم ويرفعون الشعارات الجميلة والدعاوى الحسنة فلا تغتر بهم وكن يقظاً لمكائدهم وشرورهم وإيّاك ثم إيّاك أن يستجروك لباطلهم ويفتنونك بدنياهم. ومن أخطرِ أسلحتهم الطعن في السنن الثابتة وردها بزعمهم أنها مخالفة لدلالة القرآن وصريح العقل والتكذيب بالإجماعات المعتبرة وإشاعة الفوضى الفكرية الغير منضبطة في قراءة النصوص وتفسيرها وعدم الالتزام بمدرسة السلف الصالح قال أبو قلابة الجرمي: (إذا حدثت الرجل بالسنة فقال: دعنا من هذا وهات كتاب الله فاعلم أنه ضال). وقال البربهاري: (وإذا سمعت الرجل تأتيه بالأثر فلا يريده ويريد القرآن فلا تشك أنه رجل قد احتوى على الزندقة فقم من عنده ودعه). ومن أساليبهم الفاسدة استمالة العامة بإشاعة الفاحشة وتزيين الشهوات لديهم وتسهيل المنكرات وقد توعد الله تعالى ذلك بقوله: (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن

تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ). ومن أساليبهم في نشر باطلهم إشاعة فقه الرخص وشذوذات الفقهاء وزلاتهم وقد حذر السلف من هذا المسلك الخطير قال الأوزاعي: (من أخذ بنوادر العلماء خرج من الإسلام). وقال أحمد بن حنبل: (لو أنَّ رجلا عمل بقول أهل الكوفة في النبيذ وأهل المدينة في السماع وأهل مكة في المتعة كان فاسقا). ومن أهدافهم الخطيرة تجريد المسلم من هويته الدينية وقيمه وعاداته الإسلامية وصهره في الثقافة العالمية الإنسانية لتذوب عنده الفوارق المذهبية ويعتقد باحترام جميع الملل والأديان الباطلة وعدم البراءة منها ويقيم أواصر المحبة والمودة مع الكفار ولا يعتز بإظهار شعائر دينه ويصبح انتمائه لدينه انتماء صوري لا وجود له في الواقع إلا في مشاعر وجدانية ومن أعظم ما ينقض هذا الأصل سورة العصر قال تعالى: (وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ). قال الشافعي: (لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم). أما التزام العدل والإحسان مع الكفار غير المحاربين لنا وحفظ حقوقهم والكف عن أذيتهم ومعاملتهم بالحسنى فمن محاسن ديننا الذي أرشدنا الله إليه في كتابه قال تعالى: (لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ). وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: (قدمتْ عليّ أمي وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ فاستفتيت رسول الله ﷺ قلت: وهي راغبة أفأصل أمي ؟ قال: نعم صلي أمك). متفق عليه. وفي صحيح البخاري: (من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاما). وقال شيخنا محمد ابن عثيمين: (فنحن مسلمون مستسلمون لأمر الله عز وجل محترمون لما اقتضى الإسلام احترامه من أهل العهد والأمان فمن أخل بذلك فقد أساء للإسلام وأظهره للناس بمظهر الإرهاب والغدر والخيانة ومن التزم أحكام الإسلام واحترم العهود والمواثيق فهذا هو

الذي يرجى خيره وفلاحه). وقد كان النبي ﷺ حسن التعامل والجوار مع أهل الكتاب من أهل الذمة يعود مريضهم ويقبل هديتهم ويتعامل معهم بالمال ويعترف بحقوقهم ويعفو عن مسيئهم. واعلم أن أخطر أطروحاتهم أمران الحرية الفكرية باحترام الإلحاد والحرية الشخصية باحترام الشذوذ الجنسي والمطالبة بحقوق المثليين فالأمر الأول يتسبب في فساد العقيدة والأمر الثاني يتسبب في فساد الأخلاق. ومن تناقضهم الصارخ في ثقافتهم المخالفة للفطرة المطالبة بشرعنة الشذوذ الجنسي والعلاقة المحرمة خارج إطار الدين وشرب المسكرات والتبرج مع تجريم زواج التعدد وزواج القاصر والطلاق وولاية الرجل على المرأة وقد شنع الله عز وجل على أعداء الفطرة والفضيلة فقال في ذم اللوطية: (وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَالَمِينَ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ). قال الخليفة الوليد بن عبد الملك: (لولا أن الله عزوجل قص علينا خبر قوم لوط ما ظننت أن ذكراً يعلو ذكراً). وقد أخبرنا النبي ﷺ باتباع طائفة من أمة محمد اليهود والنصارى بقوله: (لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا في جحر ضب لاتبعتموهم قلنا يا رسول الله آليهود والنصارى قال فمن). متفق عليه. وقد شاعت هذه الفتنة في هذا الزمان بين المسلمين لضعف إيمانهم وقلة بصيرتهم وفتنتهم بزينة الدنيا. وإذا رأيت رجلا من الإسلاميين يمتدح حياة الغرب ويغرم بأنظمتهم وحضارتهم ويكثر من ذم حياة المسلمين وتشويه صورتهم فاعلم أنه مفتون بهذا البلاء فلا ترجو فيه خيرا للمسلمين إلا أن يفتح الله على قلبه ويبصره بفساد منهج الغرب وحقيقة خوائهم الفكري والأخلاقي وبعدهم عن معرفة الله وإقامة العدل والإحسان قال تعالى: (وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ). فدمامة صورة المؤمن وضعفه وفقره مع توحيده وطهارته وحسن عبادته خير وأفضل عند الله من جمال

الكافر وغناه ورئاسته وتسلطه على البلاد وتنعمه بزهرة الدنيا فإن العبرة بالمآل والخاتمة والدار الدائمة وقليل من الناس من يفقه ذلك كما قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

النصيحة الثانية والعشرون: خطر الشهرة

كن على حذر شديد من طلب الشهرة في الخلق وأن تكون ذا صيت في الناس فإن ذلك من أخطر أمراض القلوب الذي يفسد الإخلاص ويضعف البصيرة ويصرف القلب من هم الآخرة إلى هم الدنيا قال رسول الله ﷺ: (ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه). رواه أحمد. قال ابن رجب: (وأما حرص المرء على الشرف فهذا أشد هلاكا من الحرص على المال فإن طلب شرف الدنيا والرفعة فيها والرياسة على الناس والعلو في الأرض أضر على العبد من طلب المال وضرره أعظم والزهد فيه أصعب فإن المال يبذل في طلب الرياسة والشرف). وقال سفيان الثوري: (وإياك أن تكون كمن يحب أن يعمل بقوله أو ينشر قوله أو يسمع من قوله فإذا ترك ذاك منه عرف فيه وإياك وحب الرياسة فإن الرجل تكون الرياسة أحب إليه من الذهب والفضة وهو باب غامض لا يبصره إلا البصير من العلماء السماسرة فتفقد نفسك واعمل بنية). فطلب الشهرة تهلك الرجل الصالح وتصيبه في مقتل وتحمله على التصنع للخلق وإخفاء العيوب وإظهار الفضائل لأجل نيل المديح والثناء وقد قال النبي ﷺ: (من سمَّع سمَّع الله به ومن يرائي يرائي الله به). متفق عليه. وطالب الشهرة ذليل لجمهوره لا يتحكم بإظهار مشاعره ومواقفه الصادقة وإنما يسلك المجاملة في سائر أحواله ليرضي أتباعه ومريديه قال حبيب بن أبي ثابت: (تبع ابن مسعود ناس فجعلوا يمشون خلفه فقال: ألكم حاجة؟ قالوا: لا. قال: ارجعوا فإنها ذلةٌ للتابع وفتنةٌ للمتبوع). والشهرة تدخل العجب والكبر في قلب المؤمن وتجعله ممن يحبون العلو في الأرض ولذلك قل أن تجد مشهورا يقبل النصيحة من غيره لأنه يرى نفسه ممن جاوزوا القنطرة. ومن مساوئ الشهرة أن يفقد الإنسان المتعة والحرية في الأماكن العامة ويترك البساطة في

ملبسه ومطعمه وسائر أموره ليظهر بمظهر النخبة أمام العامة. ومن مخاطر الشهرة أن يتخذه الناس قدوة في الأفكار والأخلاق فيحاكوا أقواله وأفعاله. وقد ذم السلف الصالح الشهرة وحذروا من طلبها قال سفيان الثوري: (إياك والشهرة فما أتيت أحداً إلا وقد نهى عن الشهرة). وقال إبراهيم بن أدهم: (ما صدق اللهَ عبدٌ أحب الشهرة). وكانوا يفرون منها إذا أقبلت عليهم فعن صفوان بن عمر قال: (كان خالد بن معدان إذا عظمت حلقته قام فانصرف. قيل لصفوان: ولم كان يقوم؟ قال: كان يكره الشهرة). وقال عاصم: (كان أبو العالية إذا جلس إليه أكثر من أربعة قام). ومن أعظم السعادة أن تكون مغموراً لا يعرفك الناس ولا تتعرض للفتنة ولا يشار إليك بالبنان عن عمير بن عبد الملك الكناني: (أن رجلا صحب ابن محيريز في سفر فلما أراد أن يفارقه قال: أوصني. قال: إن استطعت أن لا تعرِف ولا تُعرف وتمشي ولا يُمشَى إليك وتسأل ولا تُسأل فافعل). ومن قصد الشهرة فضحه الله بسوء قصده وإن اجتهد في إخفاء سريرته قال بشر الحافي: (ما أعرف رجلا أحب أن يعرف إلا ذهب دينه وافتضح). وكل ما ورد ذمه فالمراد منه الشهرة الزائفة المكتسبة أما من سلك الخمول واجتهد في إخفاء عمله فأشهره الله بالعلم أو النسك لصدقه وإخلاصه فليس عليه مذمة ولا حرج . قال أحمد بن حنبل: (أريد أن اكون في شعب بمكة حتى لا أعرف قد بليت بالشهرة إني أتمنى الموت صباحاً ومساءً). ولكن يجب عليه أن يتحرى الصدق ويعالج قلبه ويتواضع ويوطن نفسه على صحبة المساكين ولا يغتر بشهرته قال بريدة بن الحصيب ﵁: (شهدت خيبر وكنت فيمن صعد الثلمة فقاتلت حتى رئي مكاني وعلي ثوب أحمر فما أعلم أني ركبت في الإسلام ذنباً أعظم علي منه. أي: الشهرة).

النصيحة الثالثة والعشرون: كنْ مباركا أينما كنت

اشتغل في نشر الدين والفضائل بين الأنام لتكون داخلا في قوله تعالى: (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ). واعلم أن الدعوة إلى الله من أجل الأعمال المتعدي نفعها قال تعالى: (وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ). وقال رسول الله ﷺ: (فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً خير لك من أن يكون لك حمر النعم). متفق عليه. وتذكر أن كل فضيلة تنشرها وسنة تعلمها وبدعة تردُّها فيقتدي بك أحدٌ فلك أجره وأجر من اتبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً كما قال رسول الله ﷺ: (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا). رواه مسلم. وربَّ كلمة خير تلقيها لا تلقي لها بالا فيهتدي بها أقوام وينتشر بها الدين فتأتيك أجور عظيمة يوم القيامة. فاعمر وقتك وشبابك بالخير وكن مباركا أينما حللت وارتحلت ولا تقطع وقتك في التفاهات ولا تقعد عن الفضائل ولا تصحب البطالين الذين آثروا الدعة والسكون قال ابن القيم في رسالته لأحد إخوانه: (الله المسؤول المرجو الإجابة أن يحسن إلى الأخ علاء الدين في الدنيا والآخرة وينفع به ويجعله مباركا أينما كان فإن بركة الرجل تعليمه للخير حيث حل ونصحه لكل من اجتمع به قال الله تعالى إخبارا عن المسيح: (وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ). أي معلما للخير داعيا إلى الله مذكرا به مرغبا في طاعته فهذا من بركة الرجل ومن خلا من هذا فقد خلا من البركة ومحقت بركة لقائه والاجتماع به بل تمحق بركة من لقيه واجتمع به فإنه يضيع الوقت في الماجريات ويفسد القلب وكل آفة تدخل على العبد فسببها ضياع الوقت وفساد القلب وتعود بضياع حظه من الله

ونقصان درجته ومنزلته عنده ولهذا وصى بعض الشيوخ فقال: احذروا مخالطة من تضيع مخالطته الوقت وتفسد القلب فإنه متى ضاع الوقت وفسد القلب انفرطت على العبد أموره كلها وكان ممن قال الله فيه: (وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا)). وأعظم النفع للمسلمين بذل العلم الشرعي لهم وتبصيرهم في دينهم ورفع الجهالة عنهم ودلالتهم إلى طريق السنة وهدايتهم لهدي النبي ﷺ وأصحابه وفي جامع الترمذي عن أبي أمامة الباهلي ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: (إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير). وقال الفضيل بن عياض: (عالم عامل معلم يدعى كبيراً في ملكوت السموات). واعلم أن الرد على أهل البدع بإخلاص وعلم وعدل من الجهاد في سبيل الله الذي يؤجر عليه المتكلم ويظهر فيه الحق ولا يلتبس على الجهال قيل لأحمد بن حنبل: (الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحب إليك أو يتكلم في أهل البدع ؟ فقال: إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه وإذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين هذا أفضل). واحرص على نفع الناس وقضاء حوائجهم على حسب استطاعتك ولو باليسير وكن رحيما بكل مسلم ولا تبخل برأيك وجاهك وشفاعتك على كل محتاج ليس له رهط ينصرونه ويكفونه المؤونة وتذكر إن إحسانك وإعانتك وسترك وتنفيس كرب أخيك المسلم في الدنيا سبب لتفريج كربتك وسترك وعونك ورحمتك يوم القيامة كما صحت بذلك الأخبار في السنة.

النصيحة الرابعة والعشرون: لزوم طريق العقل والحكمة

الزمْ طريق العقل والحكمة في أمورك كلها وتجنب طريق الحمق والسفاهة فكم من صالح ضل الطريق ومال عن الصواب لسفه في عقله وزهده في قبول الحكمة وركونه إلى الارتجال والعجلة قال بعض الأدباء: (كل عز لا يوطده علم مذلة وكل علم لا يؤيده عقل مضلة). وإذا اجتمع في المرء عقل ودين أفلح قالت أمنا عائشة رضي الله عنها: (قد أفلح من جعل الله له عقلا). وقد أثنى السلف على فضل العقل وفائدته قال وهب بن منبه: (وإن الرجلين ليستويان في البر ويكون بينهما في الفضل كما بين المشرق والمغرب بالعقل وما عبد الله بشيء أفضل من العقل). وقال الحسن البصري: (من لم يكن له عقل يسوسه لم ينتفع بكثرة روايات الرجال). والعاقل يوازن بين المفاسد والشرور وينظر في العواقب بتوفيق من الله قال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه: (ليس العاقل الذي يعرف الخير من الشر ولكنه الذي يعرف خير الشرين). ومن عقل الرجل سلوك مواضع الاتفاق وترك مواضع الخلاف قال سفيان الثوري: سمعت داود بن أبي هند وكان عاقلا يقول: (إنك إذا أخذت بالذي اجتمعوا عليه لم يضرك الذي اختلفوا فيه وإن الذي اختلفوا فيه هو الذي نهوا عنه). ومن عقل الرجل التأني في الأمور وترك العجلة إلا في أعمال البر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأشجِّ عبد القيس: (إن فيك خصلتين يحبهما الله الحلم والأناة). رواه مسلم. وقال مالك: (كان يقال: التَّأني من الله والعجلة من الشيطان وما عجل امرؤ فأصاب واتَّأد آخر فأخطأ إلا كان الذي اتَّأد أصوب رأيا. ولا عجل امرؤ فأخطأ واتَّأد آخر فأخطأ إلَّا كان الذي اتَّأد أيسر خطأ). ومن علامات العقل التغافل عن الخلق وعدم تتبع عوراتهم وأخطائهم قال مُحَمَّد بن عبد الله الخزاعي: (سمعت عثمان بن زائدة يقول العافية عشرة أجزاء تسعة منها في التغافل. قال: فحدثت به أحمد بن حنبل فقال:

العافية عشرة أجزاء كلها في التغافل). ومن خصال العقل التي يحمد بها المرء وينال بها مراده مداراة الناس واحتمال أذاهم وعدم مواجهتهم وهو خلق نبوي قال الحسن البصري: (كانوا يقولون: المداراة نصف العقل وأنا أقول هي العقل كله). وقال أبو الدرداء ﷺ: (إنا لنكشر في وجوه أقوام ونضحك إليهم وإن قلوبنا لتلعنهم). ومن أخلاق العقلاء سلامة الصدر من الغل والحسد ومحبة الخير للمسلمين قال تعالى: (وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلا لِلَّذِينَ آمَنُوا). وعن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه). متفق عليه. ومن لم يكن له عقل يصونه عن الردى فليخالط الناس بخلق حسن ليسلم من أذاهم وليستعن على النوائب باستشارة حكيماً من أصحابه فإن لم يجد فليزم الصمت ولا يخوض خوضَ الجهال قيل لعبد الله بن المبارك: (ما أفضل ما أُعطيَ الرجل بعد الإسلام ؟ قال: غريزة عقل. قيل: فإن لم يكن ؟ قال: أدبٌ حسنٌ. قيل: فإن لم يكن ؟ قال: أخٌ صالحٌ يستشيره. قيل: فإن لم يكن ؟ قال: صمتٌ طويلٌ. قيل: فإن لم يكن ؟ قال: موتٌ عاجلٌ). ومن توفيق الله للعبد وكمال عقله أن يعرف حقيقة الدنيا ودنائتها وسرعة انقضائها فيزهد في زينتها ولا يميل لفتنتها ويرغب في الآخرة ويعلق همه برضا الله ونعيم الجنة ويصحب أهل الآخرة ويزهد في صحبة البطالين قال تعالى: (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا). وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثر في جنبه فقلنا: يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاءً. فقال: ما لي وللدنيا ما أنا في الدنيا إلا كراكبٍ استظل تحت شجرةٍ ثم راح وتركها). رواه الترمذي. ومن حسن عقل المرء وخلقه أن يحسن إلى الناس ويحرص على نفعهم بما يستطيع ويرحمهم بما تجود به نفسه ليرحمه ربه ويجازيه بالإحسان يوم أن يلقاه قال تعالى: (وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ). ومن أمارات العقل والحكمة

أن يقبل المرء على ما ينفعه في دينه ودنياه ويترك سفاسف الأمور ويكون الغالب على وقته الجد والحزم والسير الحثيث قال رسول الله ﷺ: (احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز). رواه مسلم. ومن أعظم صفات العاقل تركه للمراءِ والجدالِ كما أوصى بذلك النبي ﷺ وقال مُحَمَّد بن الحسين: (وعند الحكماء أن المراء أكثره يغير قلوب الإخوان ويورث التفرقة بعد الألفة والوحشة بعد الأنس). ومن عقل الرجل استعماله الرفق في النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه). رواه مسلم. وكتمان السر دليل على وفرة العقل وسمو الهمة وإذاعة الأسرار دليل على قلة العقل ودناءة الهمة قال الحسن البصري: (إن من الخيانة أنْ تحدِّثَ بسر أخيك). ومن كمال العقل التريث في النوازل عند ورود أخبار الفتن والإمساك عن الكلام والرجوع إلى الأكابر والتأمل في المخرج منها بما يوافق الشرع ومن قلة العقل الإسراع في الفتنة والتصدر لها. ومن وفرة العقل ترك التطاول على الأمراء والعلماء وحفظ منازل أهل الفضل وعدم التعرُّض لهم قال ابن المبارك: (من استخف بالعلماء ذهبت آخرته ومن استخف بالأمراء ذهبت دنياه ومن استخف بالإخوان ذهبت مروءته). ومن العقل السكوت عن الكلام في دقيق العلم والمسائل المشكلة عند العامة حتى لا يفتنوا في دينهم كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (ما أنت بمحدِّثٍ، قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة). رواه مسلم. ومن حسن العقل أن تجعل العفو والمسامحة خلقاً لك فتعفو عمن أساء إليك وتصفح عمن ظلمك فيما استطعت إلى ذلك سبيلا قال تعالى: (وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ). ولا تلتفت إلى الأحقاد والضغائن الماضية وترميها وراء ظهرك وتتصالح مع أعدائك لتعيش سعيدا في الدنيا. ومن كمال العقل أن يرضى المؤمن بما قسم الله له

ويقنع بما آتاه فلا يتطلع بما في أيدي الناس ولا يحزن بما فاته من الدنيا ويتصالح مع نفسه ويتجنب ملامتها وفي صحيح مسلم مرفوعا: (قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه). والتودد إلى الناس والتحبب لهم من تمام العقل قال ميمون بن مهران: (التودد الى الناس نصف العقل وحسن المسألة نصف العلم واقتصادك في معيشتك يلقي عنك نصف المؤونه). والعاقل يحفظ الودَّ في العشرة ولا يهتك الستر عند النزاع ولا يفجر في الخصومة والأحمق يهدم المعروف ويفجر في الخصومة ويهتك الستر ويذيع الأسرار قال عبد الملك: (العاقل المدبر أرجى من الأحمق المقبل). ومن حسن عقل طالب العلم حفظ حرمة شيخه واحترام قدره قال شعبة: (كنت إذا سمعت من الرجل الحديث كنت له عبداً ما يحيا). وحسن الأدب في سؤاله والتواضع بين يديه أخذ ابن عباس ﷺ مع جلالته وعلو منزلته بركاب زيد بن ثابت الأنصاري وقال: (هكذا أُمرنا أن نفعل بعلمائنا). ومراعاة أحواله والصبر على سوء خلقه والحرص على موافقته وعدم إظهار مخالفته ولزوم وفائه وشكره على رعايته وفوائده وعدم نشر عيوبه وزلاته والذب عن عرضه واستعمال الأدب في نصحه وتذكيره ونشر علمه وفضائله والدعاء له قال عبدالله بن الإمام أحمد: قلت لأبي: (أي رجل كان الشافعي فإني سمعتك تكثر من الدعاء له ؟ فقال: يا بني كان الشافعي كالشمس للدنيا وكالعافية للناس فانظر هل لهذين من خلف أو عنهما من عوض). فاحرص على صحبة أهل العقل والحكمة واستشارتهم وازهد في صحبة السفهاء والحمقى وفر منهم قال الزهري: (إذا أنكرت عقلك فاقدحه بعاقل).

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على سيد البريات نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وأزواجه الطاهرات.